نصيحة

من قلبي لفلذة كبدي وثمرة فؤادي

تأليف
عبد اللطيف درويش غبير
عفا الله عنه







اسم الكتاب: نصيحة من قلبي لفلذة كبدي وثمرة فؤادي

إعداد الشيخ : عبد اللطيف درويش غبير

رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٨٦٢٢.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٢٦٨.

القياس: ١٧×٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف: عادل المسلماني.

٢٠١٣


الإدارة

دار الإيمان

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

نصيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ .... يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ .... ﴾

[التحريم : ٨] .

إهـــداء

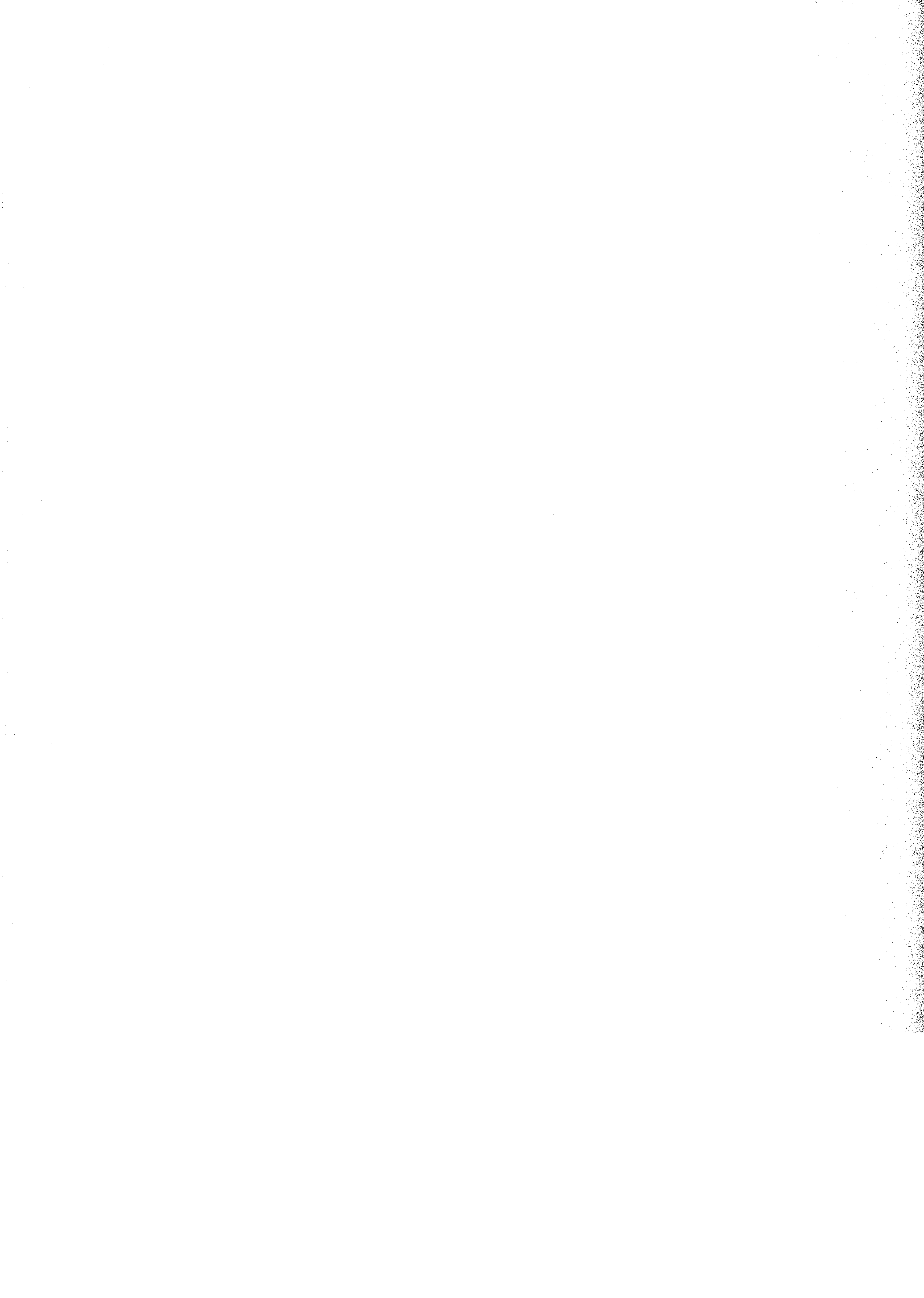
أهدي نصيحتي إلى فلذة كبدي وثمرة فؤادي

برجاء قبولها

محبكم في الله

عبد اللطيف درويش غبير





مقدمة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق، سيدنا محمد - ﷺ - وعلى آله وصحبه، وعلى كل من سار على نهجه واهتدى بهديه، إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن مقام النصيحة في الإسلام، من أعلى المقامات، وأشرف القربات إلى الله تعالى، فعَنْ سُهَيْلٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " اَلدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ". [١]

وهذا الحديث كما قال أبو داود:

أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه.

وقال الحافظ أبو نعيم: هذا الحديث له شأن عظيم.

وذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين". [٢] .

والنصيحة هي: الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد".[٣]

---

(١)رواه مسلم .

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أبن أحمد بن رجب الحنبلي / جامع العلوم والحكم / القاهرة دار الحديث ط الخامسة ١٩٨٠ م ص٩٣ .

(٣) الشريف علي بن محمد الجرجاني / التعريفات / لبنان بيروت دار الكتب العلمية ط الأولى ١٩٨٣م ص٢٤١.

والنصح " عبارة عن إرادة الخير للمنصوح له. قال الحافظ ابن رجب: النصيحة خصال الإسلام والإيمان والإحسان" [١].

ولهذا صارت النصيحة من أعظم مظاهر الدين، وبغيته، وخلاصته.

ولا نبالغ إذا قلنا: إن الدين لا يُفهم ولا يتحقق إلا بها، فهما ـ أي الدين والنصيحة ـ صنوان متلازمان.

لأن" النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان، التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسمى ذلك كله دينًا.

فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها، وهو مقام الإحسان. فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة،

ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه، وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضًا". [٢]

قال وهب بن منبه عن النصيحة: " إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في نصحك وعملك لله، فإن العمل لا يُقبل ممن ليس بناصح، والنصح لله لا يكمل إلا بطاعة الله، كمثل الثمرة الطيبة، ريحها وطعمها، كذلك مثل طاعة الله، النصح ريحها، والعمل طعمها". [٣]

وسُئل" عن رجلين يصليان. أحدهما أطول قنوتًا وصمتًا، والآخر

---

(١) الشيخ محمد السفاريني الحنبلي/ غذاء الألباب شرح منظومة الآداب/ القاهرة مؤسسة قرطبة ط الثانية١٩٩٣م ١/ ٤٣،٤٤

(٢)جامع العلوم والحكم ص٩٥

(٣)الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي / البداية والنهاية / القاهرة دار الغد العربي ط الأولى١٩٩١م ٥/ ٣٦٣،٣٦٤

أطول سجودًا، فأيها أفضل؟ قال: أنصحهما لله عز وجل"[١].

وعندما عذر الله تعالى أقوامًا في القعود عن الجهاد، وعدم الإنفاق في سبيل الله، كان هذا العذر مشروطا بعدم ادخار النصيحة، لله ولرسوله ولعامة المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾. [التوبة: ٩١] .

ولذلك كانت النصيحة منهاج ودأب كل نبي ورسول.

فنوح عليه السلام أخبر قومه أن مقامه معهم هو مقام النصح والإرشاد فقال لهم: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وكذلك نبي الله هود عليه السلام، عندما أخبرهم بأنه أمين في نصحه لهم، غير مُقصِّر أو مُفَرِّط فقال لهم: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وهي أيضًا منهاج ودأب كل صالح ومصلح من بعدهما، يُبْصر الخطأ في الآخرين فيصوبه، والخطر فيُبعد عنه، ويتحقق من الهداية فيرشد إليها، ومن الضلالة فيُصرف عنها. كما فعل ناصح موسى بالخروج من مصر، لأن الملأ يأتمرون لقتله فقال له: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[القصص ٢٠] .

هذا ولا يرفض النصيحة إلا كل ضال مغرور، فَاقَد الثقة في ناصحه، قد ملأ قلبه الكبر، وكَرِه الرضوخ للحق، لأن كل نصح يؤدي إليه، ليحيط

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٣٦٧.

به الخسران، ويندم بعد ذلك حين لا ينفع الندم.

إن العقول ضيقة الأفق، والقلوب المريضة، ليست مؤهلة لاستيعاب وتَقَبُّل ما ينفعها، وهي قادرة على أن تصيب كل مصلح بالإحباط.

ولا تَفْهم أن لكل ناصح طاقة تنفذ، وحد يكف عنده عن نصح غيره.

فنبي الله صالح عندما تيقن أنه لا فائدة من نصحه لقومه كف عن نصحه ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الأعراف : ٧٩] .وكذلك فعل نبي الله شعيب﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأعراف: ٩٣] .

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا الكتاب، منطلق النصح والإرشاد، وقد رأيت أن أتوجه بهما إلى أعز ما نملك، وهم أبناؤنا. فكل ما أردت أن أنصح به أبنائي توجهت به إلى أبناء المسلمين، حتى تعم المنفعة.

وقد اعتقدت أن تخصيص أبنائي بهذه النصائح المتواضعة، دون أبناء المسلمين، يحمل كل معاني الخيانة والغش لكل مسلم ومسلمة.

وما أباح قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » [1] ، لأحد أن يدخر شيئًا يراه نافعًا للمسلمين، أو يتكتم عنهم ما يمكن أن يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة وكل من يدخر أو يكتم آثم لا محالة، وناقص إيمانه، لن يكتمل إلا بزوالهما.

ولمخافة الإثم والنقصان كان هذا الكتاب... والله من وراء القصد

---

(١)متفق عليه من حديث أنس.

١- الإخلاص



اعلم يا بني ويابنيتي أن الإخلاص هو وصف الصالحين من عباد الله تعالى، من أنبيائه ورسله، وكل من سلك مسلكهم من أتباعهم.

وهو سر بين العبد وربه، ولذلك لا يعلم المخلصين غيره تعالى، ولا يملك أحد ادعاءه.

وقد أمر الله تعالى كل عابد به فقال في غير موضع:

﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[الأعراف:٢٩].

﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[غافر:١٤].

﴿ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر:٦٥].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

فما هو الإخلاص يا بني؟

اعلم أن آراء العلماء قد تعددت فيه على أقوال، كلها تؤدي إليه، وتدل عليه " فمنهم من قال: هو إفراد الله بالقصد في الطاعة.

ومنهم من قال: هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وإعجاب الفاعل بنفسه.

وقال أبو عثمان: الإخلاص: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق.

وقيل: هو استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

وقيل: هو ألا تطلب على عملك شاهدًا غير الله تعالى.

وباختصار: فإن تصفية العمل من كل شائبة هو الإخلاص لله تعالى"[١].

و" **قال الاستاذ الشيخ:** الإخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شي آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب صفة حميدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى.

ويصح أن يقال: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، ويصح أن يقال: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص" [٢].

و"قيل: من شهد في إخلاصه الإخلاص احتاج إخلاصه إلى إخلاص، فنقصان كل مخلص في إخلاصه: بقدر رؤية إخلاصه، فإذا سقط عن نفسه رؤية الإخلاص صار مخلصًا.

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

والرياء: أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه.

والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

وقيل: الإخلاص: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق. ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

ومن كلام الفضيل.. ترك العمل من أجل الناس: رياء، والعمل من أجل

---

(١) سعد يوسف محمود أبو عزيز / موسوعة الأخلاق الإسلامية / القاهرة المكتبة التوفيقية ١/ ٢٣، ٢٤.

(٢) العلامة العارف بالله أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري / الرسالة القشيرية في علم التصوف / بيروت دار الخير ط الثالثة ١٩٩٧م ص ٢٠٧، ٢٠٨.

الناس: شرك. والإخلاص: أن يعافيك الله منهما "[١].

وقال ابن عطاء الله في الحكم: " الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها.

قلت: الأعمال كلها أشباح وأجساد، وأرواحها وجود الإخلاص فيها، فكما لا قيام للأشباح إلا بالأرواح، وإلا كانت ميتة ساقطة، كذلك لا قيام للأعمال البدنية والقلبية إلا بوجود الإخلاص فيها، وإلا كانت صورًا قائمة، وأشباحًا خاوية لا عبرة بها". [٢]

وقيل: الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات.

وقيل: الإخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

والفرق بين الإخلاص والصدق: أن الصدق أصل، وهو الأول، والإخلاص فرع، وهو تابع.

وفرق آخر: الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل".[٣]

أي بني من ذا الذي يستحق أن تتوجه إليه بقلبك دون الله تعالى؟ ، من ذا الذي يعدل الله تعالى لتشركه في نيتك، فتصلي أو تصوم أو تحج أو تتصدق أو تجاهد ليراك الناس، أو ليمدحوك ؟ .

ولو فعلوا ذلك ما نفعوك.

---

(١) ابن القيم / مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين / بيروت دار الكتاب العربي ط الثانية ١٩٧٣م ٢/ ٩١.

(٢)العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني / إيقاظ الهمم في شرح الحكم / تقديم ومراجعة محمد أحمد حسب الله القاهرة دار المعارف ١٩٨٥ ص٤٩

(٣)التعريفات ص١٤.

إن عدم وجود الإخلاص في القلب خسارة بينة، ومصيبة المصائب، إذ لا ينفع ولا يُقبَل عمل بدونه، ولا يُسمع لقول لا إخلاص فيه.

أي بني ابحث عن الإخلاص في قلبك، فإن وجدته فلا يحزنك قليل العمل، ولا تزدريه.

وإن لم تجده فلا تفرح بسراب، لأنك وكل عملك إلى النار.

يا بني ليس هذا قولي، ولا حكمي، بل هو قول الله تعالى وحكمه،فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ "". [(١)]

وَعَنْه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:سمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَقُولُ : « إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يوْمَ الْقِيامَةِ عَلَيْه رجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ به ، فَعرَّفَهُ نِعْمتَهُ فعَرفَهَا، قالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيها ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ : قَالَ كَذَبْتَ ، وَلكِنَّكَ قَاتلْتَ لأنْ يُقالَ جَرِيء ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أمرَ به فَسُحِبَ عَلى وَجْهِه حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّار . ورَجُل تَعلَّم الْعلْمَ وعَلَّمَهُ ، وقَرأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ به ، فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعَرفَهَا . قَالَ : فَمَا عملْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تعلَّمْتُ الْعلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرآنَ . قَالَ : كَذَبْتَ ، ولكِنَّك تَعَلَّمْت الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وقَرأْتَ الْقرآن لِيقَالَ : هو قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أمرَ . فَسُحِبَ عَلى وَجْهِه حَتَّى أُلْقِيَ في النَّار ، وَرَجُلٌ وسَّعَ اللَّه عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاه مِنْ أَصنَافِ الْمَال ، فَأُتِي بِه فَعرَّفَهُ نِعمَهُ ، فَعَرَفَهَا . قال : فَمَا عَمِلْت فيها ؟ قال : ما تركتُ من سَبيلٍ تُحبُّ أنْ يُنْفَقَ فيهَا إلاَّ أنْفَقْتُ فيها لَك . قَالَ : كَذَبْتَ ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هو جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ،

---

(١) رواه مسلم.

ثُمَّ أمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النار »".[١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا ، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا " .[٢]

عن ابْن عَبّاس رَضيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ. وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ".[٣]

ومعنى سمّع الله به أي فضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ومعنى راءى الله به" أي: أظهر سريرته على رءوس الخلائق.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ رَجُلا غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا شَيْءَ لَهُ ، فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا شَيْءَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ ".[٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ".[٥]

هل رأيت يا بني الرياء والنفاق، وهما ضد الإخلاص، ما فعلا بأصحابهما؟ أي خسارة وأي ندامة تلحق بمن ترك الإخلاص، ولم يحرص

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود .
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه النسائي
(٥) رواه مسلم

عليه؟ ، فالله سبحانه وتعالى" كما لا يحب العمل المشترك، لا يحب القلب المشترك. العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقْبِل عليه.

قلت: العمل المشترك: هو الذي تحبه الحظوظ النفسانية، دنيوية أو آخروية.

والقلب المشترك: هو الذي يكون فيه حب السّوى. فالعمل الذي تصحبه الحظوظ مدخول، والمدخول غير مقبول".[1]

واعلم يا بني أن الإخلاص مع فضله ـ وأهميته ـ في قبول الأعمال لا يكفي وحده ، إذ لا بد أن يكون العمل موافقًا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله، فلا تكفي النية الصادقة، مع العمل السيئ، كما يتوهم بعض العوام، الذين لا يأبهون بموافقة العمل للشرع، ما دامت نيتهم طيبة.

وهذا وهم وتخبط، وضلالة النفس، ووسوسة الشيطان، ولذلك قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [الملك: ٢] .

"هو أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل. وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا.

والخالص: أن يكون لله. والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠] .[2]

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٤٣٧

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٠

فاحذر يا بني أن يكون عملك ممن قال الله تعالى فيه: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان:٢٣] .

فالله عدل لا يظلم العباد، وليس كل عمل يُذهبه ويبطله على صاحبه، وإنما يُذهب ويُبطل كل عمل فاسد، أو كل عمل صالح أشرك فيه معه غيره، لأنه لم يكن خالصًا لوجهه الأعظم الأكرم.

وهو العمل الذي بينه الله تعالى بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

إنه يا بني" التجرد الكامل لله، بكل خالجة في القلب، وبكل حركة في الحياة.

بالصلاة والاعتكاف. وبالمحيا والممات.

بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه.

إنها تسبيحة "التوحيد" المطلق والعبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات، وتخلصها لله وحده. لله "رب العالمين".. القوّام المهيمن المتصرف المربي الموجه الحاكم للعالمين.. في إسلام كامل، لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يعبدها لله، ولا يحتجز دونه شيئًا في الضمير ولا في الواقع". [1]

واعلم يا بني أن العمل إذا توفر فيه هذان الشرطان ـ الإخلاص وموافقة العمل للشرع ـ انتفع به صاحبه ورجا خيره وثوابه، وأنتج ثماره

(١)سيد قطب / في ظلال القرآن / القاهرة دار الشروق ط الثالثة عشر ١٩٨٧ م ٣/ ١٢٤١،١٢٤٠

الطيبة الزكية، التي تسعد صاحبه دنيا وآخرة.

وإذا تقرب به العبد لربه تحقق له القرب، وفرح به، وإذا توسل به العبد في أمر، أستجيب له، وقُضي له ن أجله.

فليس مثل الأعمال الصالحة من وسيلة نافذة، وحجة متفق عليها.

وفي هذه القصة خير دليل على ذلك، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ: وَاحِدٌ مِنْهُمُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي

مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا ، فَقَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَار فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا". (١)

انظر يا بني إلى قيمة الإخلاص في العمل، الذي لولاه ما انتفع الثلاثة بأعمالهم السابقة التي ذكروها، ورجوا جميعًا نفعها في هذه الضائقة المميتة، بعد أن عجزت قواهم عن دفعها، وتحقق لهم الهلاك.

هذا هو الإخلاص وثماره، وهؤلاء هم المخلصون حقًا، وغيرهم أدعياء مفترون، فليس كل من تمسح به صار صاحبه، وليس كل من تكلم عنه صار عالمًا به، وليس كل من يطلبه يدركه، إلا من اُختُص من البداية، بعظيم الرعاية.

ولهذا " لا يُسمى المخلص مخلصًا حتى يفرد الله عز وجل من الأشياء والأنداد والصاحبة والأولاد. ثم إرادته الله بإقامة التوحيد، وجمع الهم له وبه في النفل والفرض". (٢)

اعلم يابني علم اليقين أنه" ما هاهنا إلا الخالق عز وجل، فإن كنت مع الخالق فأنت عبده، وإن كنت مع الخلق فأنت عبدهم، لا كلام لك حتى تقطع القيافي والقفار من حيث قلبك، وتفارق الكل من حيث سرك، أمَا تعلم أن طالب الحق عز وجل مفارق الكل، قد تيقن أن كل شيء من المخلوقات حجاب بينه وبينه عز وجل.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أبوعبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البري/ رسالة المسترشدين/ تحقيق عبد الفتاح أبو عزة سورية مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ط الرابعة ١٩٨٢م ١٧٢ ،١٧٣، ١٧٤ .

مع أي شيء وقف انحجب به". [١]

أما الرياء يا بني فهو الداء الماحق، الذي يمحق الحسنات ويُبقي السيئات، ليتحسر صاحبه على الممحوق، ويشقى بالموجود.

إنه الداء الذي يمكر بصاحبه ليرديه، من خلال لذة زائفة، باطلاع الخلق على عمله، أو الثناء عليه.

فيحرص على عمل لا ينفعه، وثناء منقطع. ويُظهر للناس أجمل ما فيه، وكل باطنه خواء، يُظهر الحَسَن، ويُبقي لله تعالى كل قبيح، فالمرائي" ثوبه نظيف وقلبه نجس، يزهد في المباحات، ويكسل عن الاكتساب، ويأكل بدينه ولا يتورع جملة، يأكل الحرام الصريح، يُخفي أمره على العوام، ولا يخفى على الخواص، كل زهده وطاعته على ظاهره، ظاهره عامر وباطنه خراب". [٢]

والمرائي بريائه يكون قد ضرب عقيدته في مقتل، وأتى على بنيانها من القواعد لأن" من دعائم التوحيد، عدم صرف شيء من العبادة لغير الله المعبود، وتحريم تقديم شيء من لوازم الألوهية لغير الله مما في الوجود، وركيزته إخلاص ليس فيه رياء، وعلامته إخبات ليس معه ادعاء". [٣]

وعلامة المرائي أنه دائماً" يحب الحمد على طاعة الله عز وجل ويكره الذم، فيدع الطاعة من أجل الذم.

ولذا [illegible] يعظم به غير الله عز وجل، أو علم علماً [illegible]

---

(١) المصدر السابق ص٢٨،٢٩.
(٢)المصدر السابق ص٤٤.
(٣) د.عائض القرني / مقامات عائض القرني / السعودية مكتبة العبيكان ط السادسة ١٤٢٩ . ٢٠٠٨م ص٤٤

الله لم تقنع نفسه في عمله بعلم الله عز وجل ونظره وسمعه وحدَه، حتى يغلب على قلبه الطالب لعلم غيره.

يهتم لذلك، فإن اطلعوا عليه ارتاح قلبه لذلك وسُرَّ بحمدهم. وأخَفُّ الناس عليه من حَمَده وأثنى عليه، وأثقلهم من ترك حمده والثناء عليه". [١]

ويجب أن" يقال للعالم: اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق، كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة: لا تترك العمل، ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك. فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والإمارة، ولا نقول لأحد من عباد الله: اترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة، وإنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث.

ولا نقول له أيضًا ما دام يجد في نفسه باعثًا دينيًا ممزوجًا بباعث الرياء.

أما إذا لم يحركه إلا الرياء، فترك الإظهار أنفع له وأسلم. وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها .

أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة، وهو لها كاره فلا يترك الصلاة، لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة، وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم". [٢]

ويجهل المرائي أنه يجب عليه أن لا يعمل عمل الآخرة للدنيا، كما يجب عليه أن يختار بين الله وبين خلقه، لأن" خلق وخالق لا يجتمعان، دنيا وآخرة في القلب لا يجتمعان ، لا يتصور ـ لا يصح ـ لا يجيء منه شيء. إما

---

(١) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي / الرعاية لحقوق الله / تحقيق عبد القادر أحمد عطا بيروت دار الكتب العلمية ط الرابعة ص٢٢٨.

(٢) الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي/ إحياء علوم الدين/ بيروت دار إحياء الكتب العربية ٣/ ٣٤٥ .

الخلق وإما الخالق. إما الدنيا وإما الآخرة.

وقد يتصور أن يكون الخلق في ظاهرك، والخالق في باطنك، والدنيا في يدك والآخرة في قلبك. أما في القلب فلا يجتمعان".[(١)]

من فوائد الإخلاص...

١ـ الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال والأقوال.

٢ـ الإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء.

٣ـ الإخلاص يرفع منزلة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٤ـ يُبعد عن الإنسان الوسواس والأوهام.

٥ـ يُحرر العبد من عبودية غير الله.

٦ـ يُقوي العلاقات الاجتماعية وينصر الله به الأمة.

٧ـ يُفرج شدائد الإنسان في الدنيا.

٨ ـ يُحقق الطمأنينة لقلب الإنسان ويجعله يشعر بالسعادة.

٩ـ يُقوي إيمان الإنسان ويُكَرِّه إليه الفسوق والعصيان.

١٠ـ يُقوي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهة الشدائد.

١١ـ حصول كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة".[(٢)]



---

(١) رسالة المسترشدين ص١٤٩.

(٢) إعداد مجموعة من العلماء / موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم المملكة العربية السعودية دار الوسيلة ط الثانية ١٤١٩ ،١٤٢٠ـ١٩٩٩، ٢٠٠٠ ٢/ ١٤٠

٢ـ الإسلام...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن انتماءك للإسلام شرف ومسئولية...

شرف لما في الإسلام من تحقيق للعبودية التي لا يستكبر عليها إلا كل جاهل وهالك قال الله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ [النساء١٧٢- ١٧٣] .

شرف أن تكون عبدًا لمن خلقك، وخلق كل شيء، وأن لا تعدل به أحدًا، لأن في ذلك ظلم ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٧] .

شرف أن ترضى ما رضيه الله تعالى لك، فترضى بدين الإسلام ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[المائدة: ٣] .

واعلم يا بني أنك أنت المنتفع الأوحد بدينك وعبادتك، فالله تعالى لا تنفعه طاعتك، ولا تضره معصيتك، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم :٨] .

وقال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن

تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧].

ولذلك كانت مجازاة الله تعالى على الطاعة تفضلًا منه وكرمًا. فليس لعبد عند الله حق، ولا يجب على الله شيء.

فالله تعالى يثيب على الطاعة التي لا تنفعه، وهذا بخلاف كل مخلوق، الذي لا يجازي إلا على ما ينتفع به.

وهذا كرم وتفضل ورحمة من أرحم الراحمين.

ومع أن المعصية لا تضره، ولو كانت من أهل الأرض جميعًا، فإنه يأخذ بها، ويعذب عليها ، أخذًا شديدًا، وعذابًا أليمًا.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء : ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[القصص:٨٤].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ ﴾[غافر:٤٠].

وقال تعالى: ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾[النجم:٣١].

وذلك يا بني لأنه ملك عُصي.

ولا هيبة لملك لا يعاقب إن عُصي

ويأبى الله إلا أن يعم فضله، وتستباح رحمته، فجعل الإثابة على الطاعة محققة منه سبحانه، وعقابه على الذنوب محتملًا.

أقول لك يا بني: إنك المستفيد الأوحد من عبادتك لله تعالى والإيمان به. سواء في الدنيا أو في الآخرة.

في الدنيا: بأن تسير فيها برضاه،﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾[المائدة١١٩ التوبة١٠٠ المجادلة٢٢ البينة٨] ، وهدايته ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر: ١٨] . ﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ ﴾[محمد: ٥] .

و" إصلاح البال نعمة كبرى تلي نعمة الإيمان في القدر والقيمة والأثر. والتعبير يُلقي ظلال الطمأنينة والراحة، والثقة والرضى والسلام.

ومتى صلح البال، استقام الشعور والتفكير، واطمأن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب، ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام، وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع؟ ". [(١)]

وهذا يدلنا يا بني على أنه ماكان للسكينة إلا " مصدرًا واحدًا لا شريك له، هو الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان الصادق العميق، الذي لا يكدره شك، ولا يفسده نفاق.

وهذا ما يشهد به الواقع الماثل، وما أيده التاريخ الحافل، وما يلمسه كل إنسان بصير منصف، في نفسه وفيمن حوله.

لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقًا وضيقًا واضطرابًا، وشعورًا بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان، وبرد اليقين ".[(٢)]

---

(١)في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٨١

(٢) د يوسف القرضاوي / الإيمان والحياة / القاهرة مكتبة وهبة ط التاسعة ١٩٩٠م ص٨٧

ولا يقتصر أثر الإيمان والدين، على التغيير الداخلي فقط، بل دئماً ما يتعداه إلى الأثر الخارجي، في رقي السلوك، وحسن الخلق، والرفق بالموجودات.

ليتأكد" أن القصد من الدين ليس إلا تزكية النفس، وتطهير القلب، وظهور روح الامتثال والطاعة، واستشعار عظمة الله، وإقرار الخير والصلاح في الأرض على أساس قوي متين، من ربط الإنسان بخالقه الذي يعلم سره ونجواه". (١)

شرف يا بني أن تُنسب لهذه الأمة، التي هي: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأن يكون نبيك هو محمد ـ ﷺ ـ الذي قال عن نفسه، وهو يُظهر فضل الله تعالى عليه: " وَأَنَا سَيِّدُ وَلَد آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ". (٢)

وقال ـ ﷺ ـ: " أَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ بِحَلَقِ الْجَنَّةِ وَلَا فَخْرَ فَيَفْتَحُ اللهُ فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَى اللهِ وَلَا فَخْرَ". (٣)

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ ". (٤)

---

(١) الإمام الأكبر محمود شلتوت / من توجيهات الإسلام / القاهرة دار الشروق ط الثامنة ٢٠٠٤م ص٢١.

(٢) رواه ابن ماجة من حديث أبي سعيد.

(٣) رواه الترمذي والدارمي من حديث ابن عباس.

(٤) رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك

وقد روي" أن حسين بن علي رأى رجلًا ركب دابة فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.[الزخرف:١٣] .

قال: أفبذا أمرت؟ .

قال: كيف أقول؟ .

قال: الحمد لله الذي هداني للاسلام، الحمد لله الذي مَنّ عليَّ بمحمد ـ ﷺ ـ الحمد لله الذي جعلني في خير أمة أخرجت للناس، ثم تقول: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾.

واعلم يا بني أنَّ انتماءك للإسلام مسئولية قد ألقيت على عاتقك، فأنت في الإسلام مسئول ليس فقط عن إقامة شعائره، وتنفيذ تعاليمه.

بل تتعدى المسئولية كل ذلك، تتعدى إلى كل ما يرفع الإسلام، ويُعلي شأنه، ويُظهر فضله، وأنه الدين الحق، الذي يأخذ الله تعالى به ، أو يترك ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥].

فإن بان ذلك للناس فقد أديت، وأدى كل مسلم، ما عليه تجاه هذا الدين الحق القويم.

نعم يا بني يجب أن يعلم الناس ـ كل الناس ـ حقيقة هذا الدين، وحتى يعلموا فإن على كل مسلم دورًا لم يقم به، وواجبًا لم يؤده.

ومن مظاهر هذه المسئولية...

الاستعداد التام للتضحية، ولا يكون الاستعداد تامًا إلا بوضع كل ما يملك المسلم تحت أمر هذا الدين، وأن يُضحي به من أجله.

نعم يا بني كل ما تملك،لأن الإسلام يستحق من المسلم كل تضحية.

فما النفس، والأموال، وكل الدنيا، في مقابل إسلام رضيه الله تعالى لنا دينًا ، إن المسلمين الأوائل يا بني فعلوا كل ذلك.

بذلوا الأموال، لتنفق في سبيل الله تعالى، وقدموا النفس ـ بكل الرضا والحب ـ لتُقتل في سبيل الله، وزهدوا في الدنيا، بعد أن علموا حقيقتها، وما هي في جنب الآخرة .

والشواهد على ذلك كثيرة تكاد تشمل كل حياة السابقين في الإسلام، لأن الإسلام كيان لا يقوم ولا يرتفع إلا بقدر تضحية أبنائه، وبسواعد رجاله.

فمن الشواهد على بذل المال ...

ما أنفقه الصديق على فقراء المسلمين، المستضعفين بالرق، والمعذبين بالإسلام. فقد "كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال أبوه: أي بني أراك تعتق أناسًا ضعافًا، فلو أنك تعتق رجالًا جلدًا يقومون معك، ويمنعونك ويدفعون عنك ؟ قال: أي أبت أنا أريد ما عند الله". [1]

وأنفق على جيش العسرة كل ماله وعندما سأله النبي ـ ﷺ ـ عما أبقاه لأهله، قال بلهجة المؤمن الواثق في ربه، الراغب في رضوانه: **"أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"** .

ولن تتخيل يا بني مقدار هذه النفقات، وأثرها في نهضة هذا الدين الجديد، ومدى انتفاعه به، إلا بعد أن تعلم ما قاله النبي ـ ﷺ ـ عن هذه

(١)جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ، القاهرة مكتبة الصفا ط الأولى ٢٠٠٥ م ص٥٣.

النفقات ، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّمَا أَنَا وَمَالِي لَكَ يَا رَسُولَ اللَّه " .(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِيهِ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ".(٢)

وأنفق عمر بن الخطاب ﷺ في تجهيز جيش العسرة نصف ماله، وأتى عثمان بن عفان ﷺ بمال كثير" فجعل رسول الله - ﷺ - يقول:" مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ ".(٣)

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، أَنَّ عُثْمَانَ حِينَ حُصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ : " أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ ، وَلا أَنْشُدُ إِلا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ، فَجَهَّزْتُهُمْ، فَصَدَّقُوهُ " .

وغير هؤلاء كثير ممن انتفع الإسلام بأموالهم، فنالوا رضوان الله تعالى وفضله.

حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ إِسْحَقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا نَخْلًا وَكَانَتْ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءُ وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا طَيِّبٌ فَقَالَ أَنَسٌ

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجة وابن حبان من حديث أبي هريرة.
(٢) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.
(٣) رواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة.

فَلَمَّا أُنْزِلَتْ " ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قَالَ إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ أَوْ رَائِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهِ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهُ فِي الأَقْرَبِينَ** فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَسَّمَهُ أَبُو طَلْحَةَ فِي قَرَابَةِ بَنِي عَمِّهِ ". [١] .

ومن الشواهد على بذل النفس...

وهي لا تقتصر على من استشهد في المعارك، ومن سال دمه على أرضها. بل تمتد إلى كل من خاضها ورجع إلى أهله سالمًا غانمًا، بعد أن عرض نفسه للقتل في سبيل الله تعالى.

فالإسلام يا بني يُنزل أتباعه منازل الشهداء بمجرد سؤال الشهادة، سؤالًا صادقًا حتى ولو مات على فراشه، وبين أهله. فما بالك بمن صال وجال في أرض المعارك، وهو لا يأمن على نفسه رمية رمح، أو سيف قاتل، أو طعنة نافذة، ويرى الموت يأتيه من كل مكان ، ولا يُمني النفس بالنجاة؟.

وهذا يا بني من عظيم فضل الله تعالى.فعن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، عن جده،أن النبي ﷺ قال:" **مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ** ".[٢] .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ** ".[٣]

---

(١) رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي .
(٢) رواه مسلم و ابن ماجة والدارمي والترمذي والبيهقي.
(٣) رواه أبو يعلي في مسنده .

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"مَنْ جُرِحَ جُرْحًا في سَبيلِ اللَّهِ،جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِيحُهُ كَرِيحِ الْمِسْكِ،لَوْنُهُ لَوْنَ الزَّعْفَرَانِ،عَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ،وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مُخْلِصًا،أَعْطَاهُ اللهُ أَجْرَ شَهِيدٍ،وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، ومَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ". (١)

وأول هذه المشاهد، وأعظمها، بل وأقدمها في تاريخ الإسلام مبيت الإمام علي كرم الله وجهه في فراش النبي - ﷺ - ليلة الهجرة.

هذا الصبي الفتي، الذي يُؤمل مَن في حداثة سنة، ومُقْتَبَلَ عمره، عمرًا مديدًا، وعيشًا هنيئًا. يحلم ببيت وزوجة وذرية.

ينام في فراش النبي - ﷺ - وهو يعلم أنه لا يأمن على نفسه، حماقة سفيه، أو غضبة شجاع. ليتحول هذا الجسد الصغير في لحظات إلى أثر بعد عين.

ولكن هيهات، وألف هيهات أن ينال الجبن ممن زَيّنَ الشجاعةَ بفعاله، وعلَّم الشجعان كيف يصول الرجال؟.

أترى - يا صغيري - بما صار الصغار كبارًا ؟ ولماذا رفع الإسلام رجالًا، ووضع آخرين؟ ، ثم لا يترك الصّديق الحدث يمر دون أن يُدلي فيه بدلو الفداء والإخلاص، والفناء في حب رسول الله - ﷺ - فيسبق الرسول - ﷺ - في الدخول إلى الغار ليسد جحوره بتقطيع ثيابه، حتى إذا لم يبق إلا جحرًا سده بقدمه.

ويسير أثناء الهجرة عن يمين الرسول - ﷺ - إن توقع الخطر من يمينه.

ويتقدمه إن توقعه من أمامه.

ويرجع إلى يساره إن توقعه من يساره.

---

(١) رواه أحمد وابن حبان من حديث معاذ بن جبل

ويكون خلفه إن توقع الخطر من خلفه.

إنما الإسلام يا بني بالفعال، ولو كان بالأقوال لسبق فيه وإليه كلُ فاجر وفاسق، وكل كاذب ومنافق.

لابد وأن تهراق فيه ـ ومن أجله ـ قطرات العرق والدم. ولم الضن" وقد صبغ يحيى بن زكريا التوحيد بدمائه، ومزج حمزة التوحيد بأشلائه.

ولما ذاقه جعفر، تقطع وبالرمل تعفر.

وذُبح الخلفاء على بساطه، وضُرب الأئمة على التوحيد بأيدي الظلم وسياطه. ونُحر الشهداء على فراش التوحيد وبلاطه.

وكم من موحد وُضع في الزنزانة، لما أعلن إيمانه؟

ولما نطق حبيب بن زيد بكلمة التوحيد عند مسيلمة الكذاب العنيد، قَطَّعه بالسيف فما أنَّ، ولا قال له تأنَّ، بل اشتاق إلى الجنة وحنَّ.

ولما ذهبوا بعبد الله بن حذافة إلى القدور، والجثث فيها تدور، والتوحيد في قلبه يمور، بكى وقال: يا ليت لي بعدد شعر رأسي أرواحًا، لتذوق في سبيل الله سيوفًا ورماحًا.

وضُرب طلحة يوم أحد بالسيوف والرماح، فما شكى ولا صاح، حتى سال بالدم جبينه، وشُلت يمينه، وثبت دينه، لأن التوحيد قرينه.

وقاتل مصعب قتال الأسود، حتى وُسّد اللحود، لأنه وحّد المعبود.

ولما حضر عبد الله بن جحش معركة أحد دعا واجتهد، بكلام يبقى إلى الأبد، فقال:

اللهم هيء لي عدوًا لك شديد حرده، قوي بأسه، فيقتلني فيك، فيجدع

أنفي، ويبقر بطني، ويفقأ عيني، ويقطع أذني، فإذا لقيتك يا رب فقلت لي: يا عبد الله لم فُعل بك هذا ؟ قلت: فيك يا رب.

فهل سمعت نشيدًا كهذا النشيد؟ وهل أطربك قصيد كهذا القصيد.

لأنه من ديوان التوحيد" [1].

من فوائد الإسلام:

١ـ عصمة المال والدم والعرض.

٢ـ إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

٣ـ تحقيق العدالة الاجتماعية والرحمة والمساواة.

٤ـ القضاء على النظم الوضعية والمناهج الإلحادية.

٥ـ حفظ كرامة الإنسان وحقوقه ومكتسباته.

٦ـ يورث هداية القلب.

٧ـ الفوز بالجنة والنجاة من النار.

٨ ـ حصول الألفة والمحبة والتآخي بين الناس.

٩ـ مصدر العزة والسعادة في الدارين.

١٠ـ يُخرج الناس من الظلمات إلى النور فيعز الناس بالذل إلى الله سبحانه فيحصلون على شرف العبودية له.

١١ـ يحصِّلُ صاحبه ومتبعه على كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.

١٢ـ الإسلام يحقق الأمان في المجتمع فيعيش كلُ فرد آمنًا من أذى أخيه

(١) مقامات عائض القرني ص٤٥ ،٤٦ .

قولًا وفعلًا.

١٣ـ الإسلام يحقق التكافل بين الناس فيأخذ غنيُهم بيد فقيرهم، وقويهم بيد ضعيفهم ويصبح الجميع إخوة متحابين.

١٤ـ الإسلام يُورث التواضع ويكسو المسلم ثوب العزة ".[1]



(١) نضرة النعيم ٢/ ٣٤٨ .

٣ـ البر



اعلم يا بني ويا بنيتي أنَّ البر"اسم جامع لأعمال الخير، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما، ومنه عمل مبرور أي قد رضيه الله تعالى. وقد يكون بمعنى الصدق كما يقال: بَرّ في يمينه أي صدق ولم يحنث، ويقال: صدقت وبررت، وقال تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، فأخبر أن البر جامع للتقوى .

واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم، ورغبهم في ذلك بناه على مأخذ آخر، وهو أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره، أو ينصح غيره ويهمل نفسه". (١)

وقد استقبح الله تعالى هذا الفعل من بعض الناس فقال:﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤] .

وتلك إحدى آفات بعض" رجال الدين ـ حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حرة دافعة ـ أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون إلى البر ويهملونه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويؤولون النصوص القاطعة خدمة للغرض والهوى، ويجدون

---

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي/ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/ القاهرة دار الغد العربيط الأولى١٩٩١م ٢/ ٦٦ .

فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين، لتبرير أغراض وأهواء لمن يملكون المال أو السلطان! كما كان يفعل أحبار يهود! .

والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك، لا في الدعاة وحدهم، ولكن في الدعوات ذاتها. وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولًا جميلًا، ويشهدون فعلًا قبيحًا فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبوا في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان، ولا يعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين". [١]

ولهذا يا بني لا أريدك أن تكون سببًا في فتنة أحد، أو في زهده عن الطريق القويم، بمخالفة أفعالك لأقوالك، فإنك لن تأمر بأمر، ولن تنهى عن منكر إلا ونظر الناس إلى فعالك.

بل لا أريد لك أن تكون سببًا لهداية لم تدركها ، ولخير لم تنتفع منه، فتكون على ضلالة وغيرك على هدى، فَعَنْ أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ ، فَيَدُورُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَتُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : يَا فُلانُ مَا لَكَ ؟ مَا أَصَابَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ " . [٢]

---

(١) في ظلال القرآن١/ ٦٨ .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم .

وعن الشعبي أنه قال: يشرف قوم في الجنة على قوم في النار فيقولون: ما لكم في النار، وإنما كنا نعمل بما تعلمون؟ قالوا: كنا نعلمكم ولا نعمل به.

وعن جندب البجلي أنه قال: إن مثل الذي يعظ الناس وينسى نفسه كمثل المصباح يضيئ لغيره ويحرق نفسه.

واعلم يا بني أن على رأس أعمال البر، وفي مقدمتها، الإيمان بالله تعالى، وبجميع كتبه المنزلة، وأنبيائه المرسلة.

وإنفاق المال على ذوي القربى، المقدمين على كل محتاج وفقير، وذلك لأن الإنفاق عليهم، إنفاق ووصل، وما فاض فلغيرهم من اليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين، وعتق الرقاب.

وتأتي الصلاة على رأس هذه الأعمال، وكذلك الوفاء بالعهد. ثم يأتي الصبر في البأساء والضراء قوام كل هذا وذاك. قال الله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧].

ولن ينال عبد البر إلا بتحقيق هذه الأعمال جميعًا، واختصاص الإنفاق بالذكر في شرط البر دون الأعمال الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ليس معناه تحققه بالإنفاق دون سواه من الأعمال، لأن الإنفاق بدونها لا معنى له ولا قيمة.

من فوائد البر:

١ـ طريق موصل للجنة.

٢ـ زيادة في العمر وبركة في المال والنسل.

٣ـ من أسباب سعادة المرء في الدارين.

٤ـ دليل على حسن الخاتمة.

٥ـ نيل محبة الناس ومحبة الله عز وجل.

٦ـ البر يُؤدي إلى الألفة وشيوع روح المحبة في المجتمع.

٧ـ التاجر البار يخرج من زمرة الفجار يوم القيامة.

٨ـ الأبرار تعمر بهم الأرض، وذلك بخلاف الفجار الذين يخربونها وهي عامرة.

٩ـ البر يُنجي من العذاب يوم القيامة.

١٠ـ البر إحدى الصفات التي لا تكتمل مكارم الأخلاق إلا بها، وهو أعلى درجات الصدق.

١١ـ بالبر تطمئن النفوس الحائرة، وتهدأ القلوب الفزعة، وتستقر الجماعات". [١]



(١) نضرة النعيم ٣/ ٧٦٦.

٤ـ العلم و التعلم



اعلم يا بني ويا بنيتي أن العلم" أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طُلب وجَدّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله يُنمي على طالبه".(١)

فهو" أرفع مقام تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية تتسابق إليها الأمم، فلا يخلص إليه الطالب دون أن يقاسي شدائد، ويحتمل متاعب.

ولا يستهين بالشدائد إلا كبير الهمة، ماضي العزيمة، وكان سعيد بن المسيَّب يسير الليالي لطلب الحديث الواحد، ورحل أبو أيوب الأنصاري عن المدينة إلى عقبة بن عامر وهو في مصر ليروي عنه حديثًا، فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحل راحلته، فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل إلى المدينة راجعًا".(٢)

والعلم هو"الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيئ في العقل، والأول أخص من الثاني.

وقيل: العلم هو إدراك الشيئ على ما هو به.

وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه.

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي/ أدب الدنيا والدين / القاهرة المكتبة التوفيقية ص٤٥ .

(٢) نضرة النعيم٧/ ٢٩٨٤،٢٩٨٥.

وقيل: هو مستغن عن التعريف". [١]

وهو أفضل ما ينفقه الإنسان ويتصدق به، وأعظم ما ينتفع به الآخرون، فعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْمًا ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**". [٢]

لأنه - أي العلم - مما لا يُستغنى عنه، في أمور الدين والدنيا، وكل ما عداه فضل يمكن أن يُستغنى عنه، ولذلك قال الإمام أحمد:" الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس".[٣]

نعم يا بني، كل ما سوى العلم، وما يُعين على طلبه، ومذاكرته والانتفاع به لا قيمة له، أو له قيمة دونه.

تلك هي حقيقة العلم، وهذا هو قَدْره، ولا "يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل، لأن فضل العلم إنما يعرف بالعلم. وهذا أبلغ في فضله، لأن فضله لا يعلم إلا به. فلما عدم الجهال العلم الذي به يتوصلون إلى فضل العلم جهلوا فضله، واسترذلوا أهله، وتوهموا أن ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة، والطُرَف المشتهاة، أولى أن يكون إقبالهم عليها، وأحرى أن يكون اشتغالهم بها".[٤]



---

(١) التعريفات ص٢٤١.

(٢) رواه ابن ماجة.

(٣) ابن القيم الجوزية / مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩٨م ص٦٣

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٤٦

العلم النافع



اعلم يا بني أنَّ ثَمَّ علم لا يضرك الجهل به، ولا ينفعك العلم به، ويكون الانشغال به مضيعة للوقت، وربما كان مغضبة للرب.

ولا يوجد علم ينطبق عليه هذا الحكم على إطلاقه، فبعض العلوم فيها ما يؤخذ منه وما يُعْرَض.

وإن طلبت مني تحديد هذا العلم فلا أستطيع، ولا يستطيعه أحد، ولكن هذا النوع من العلم الذي يستحسن تركه له ضابط وهو: أنه لا يعود بأي منفعة على صاحبه لا في الدنيا ولا في الآخرة، أو له منفعة يسيرة لا تتناسب مع الجهد المبذول فيه.

أما العلم النافع فهو" الذي ينبسط في الصدر شعاعه، وينكشف به عن القلب قناعه.

قلت: العلم النافع: هو علم القلوب، ومرجعه إلى تصفية القلوب من الرذائل، وتحليتها بالفضائل.

أو نقول: مرجعه إلى التخلية والتحلية". [١]

والعلوم الشرعية ـ وهي فرع من فروع المعرفة ـ جميعها علومًا نافعة، ولذلك حث الله تعالى عباده على تعلمها، والأخذ بها، وتعليمها للناس، لا على سبيل الفضل بل على سبيل الوجوب فقال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٤٨٤ .

ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[التوبة:١٢٢].

وهذه الفرقة المستنفرة تعلق بها الوجوب، ولولا استنفارها لتعلق الوجوب بالجميع.

وإذا كان النفع يعم غالب العلوم. وإذا كان هذا النفع هو ضالة الإنسان. وإذا كانت ـ كما قال نبينا ـ ﷺ ـ:" الكلمة الحكمة ضالة المؤمن. حيثما وجدها، فهو أحق بها". [١]

وإذا" لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها والعناية بأولاها، وأفضلها. وأولى العلوم، وأفضلها علم الدين، لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبجهله يضلون. إذ لا يصح أداء عبادة جهل فاعلها صفات أدائها، ولم يعلم شروط إجزائها.

ولذلك قال رسول الله ـ ﷺ ـ:"فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ " [٢]. وإنما كان كذلك، لأن العلم يبعث على فضل العبادة، والعبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة، فلزم علم الدين كل مكلف". [٣]

لأن" الجاهل لا تسوي عبادته شيئًا، بل هي فساد كلي، وظلمة كلية". [٤]

واعلم يا بني أن لا بد للعلم من خشية تمنعه من الذَلَل، فإن" قارنته الخشية فلك، وإلا عليك.

قلت: لأن العلم الذي تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة وأسبابها،

---

(١)رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة
(٢) رواه الحاكم في مستدركه من حديث حذيفة
(٣) أدب الدنيا والدين ص٤٧، ٤٨، ٤٩
(٤) عبد القادر الجيلاني / الفتح الرباني والفيض الرحماني/ القاهرة دار الريان للتراث ص٢٢٥

ويزهده في كل ما يشغل عن العمل به، ويرغبه في كل ما يقربه إلى ربه، فيكون عونًا له على الوصول إلى معرفة الله، والقرب من ساحة رضاه.

فإن لم تقارنه الخشية كان وبالًا عليه، لأنه حينئذ حجة عليه. لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل".(١)

وكان النبي - ﷺ - يقول:"**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ** ".(٢)

فضل العالم على غيره ...

اعلم يا بني أنه قد ثبت للعلم كل فضل، وأنه لا تعلوه منزلة، ولا يشبع منه طالبه كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ : مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لا يَشْبَعُ ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لا يَشْبَعُ** ".(٣)

والفهم - الذي هو ذروة سنام العلم، والذي بدونه يكون العلم مجرد نص لا قيمة له، ولا فائدة منه، ويكون صاحبه كببغاء يردد مالا يعي - هو علامة إرادة الخير بالعالم والمتعلم من قبل الله تعالى قال النبي - ﷺ -: "**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** ".(٤)

ولله در القائل:

تعلم فليس المرء يولد عالمًا ∴ وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ∴ صغير إذا التفت إليه المحافل

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٤٨٥
(٢) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة
(٣) رواه الحاكم في مستدركه من حديث أنس
(٤) رواه مالك وأحمد والبخاري وابن ماجة والدارمي من حديث أبي هريرة

وقال أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى :[١]

العالم العاقل ابنُ نفسه ∴ أغناه جنسُ علمه عن جنسه

كن ابن من شئت وكن مؤدَّبًا ∴ فإنما المرء بفضل كَيْسِه

وليس من تُكرمُه لغيره ∴ مثل الذي تكرمه لنفسه

فإن العالم لا يدركه طالب، ولا يسبقه متسابق، ولا يُقَارن به، ولا يُفاضَل عليه.

ولم لا يكون كذلك وهو:

البصير المبصر، و الهادي المهدي.

كاشف الشبهات، المنقذ من الضلال.

قوله هداية، ونصيحته ضياء.

حافظ الحق، والحارس لحدوده.

هو الأمير الذي يحتاج إليه كل أمير.

والملك الذي يعرف قدره الملوك.

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ولد بالبصرة العام ٢٢٣ هجرية كان أبوه وجيهًا من وجهاء البصرة، قال عنه أبو الطيب اللغوي: ابن دريد انتهى إليه علم لغة البصريين وكان أحفظ الناس، وأوسعهم علمًا، وأقدرهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر أبي بكر بن دريد . وقد تخرج على يديه كثير من العلماء والأدباء منهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب "الأغاني" وأبو الحسن المسعودي مؤلف "مروج الذهب" وأبوعبيد الله المرزباني مؤلف "معجم الشعراء" وأبو علي القالي مؤلف كتاب "الأمالي" والنهرواني مؤلف "الجليس الصالح"، وأخذ هو عن أبي حاتم السجستاني توفي ببغداد العام ٣٢١/ ٩٣٣م.

هو محل عناية الله تعالى في أرضه.

ولم لا وهو أهل خشيته؟ هو وحده.. هو وحده.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

هو أهل الفضل، وجماع الخير.

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ خَيْرَكُمْ مَنْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ أَوْ تَعَلَّمَهُ ".(١)

والعلم طريق يوصلك إلى الجنة، التي لا يدخلها أحد إلا بعد رضا الله تعالى عنه، وهو طريق ليس بالسهل الهين، حتى يسلكه الجميع، لأنه يستلزم همة عالية، وصبرًا جميلا، وقوة تحمل. وقد بذل العلماء السابقين كل طاقتهم وجهدهم في تحصيله، لينالوا من الفضل ما نالوه.

فَعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ.(٢)

(١)رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن حبان والدارمي من حديث علي

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا إِلَّا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ". (١)

وموت العالم مؤشر خطير على زوال العلم، واندثار الخير، وعلامة لقرب قيام الساعة، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ". (٢)

وعن الضحاك قال: قال عبد الله بن مسعود: " اغْدُ عَالِمًا ، أَوْ مُتَعَلِّمًا ، وَلَا خَيْرَ فِيمَا سِوَاهُمَا ". (٣)

وَعَنْ مَكْحُولٌ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ وَالنُّونَ فِي الْبَحْرِ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ ". (٤)

من هو هذا العالم ؟

اعلم يا بني أنه ليس كل من تعلّم وعلّم صار له كل هذا الفضل، بل هو العالم الذي توفرت فيه شروط وصفات أخرى غير صفة العلم. متى توفرت استحق أن يوصف بكل فضل، وأن ينال خير الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) متفق عليه
(٣) رواه الدارمي.
(٤) رواه الدارمي.

فمن هو ؟ وما شروطه وصفاته؟

روى الدارمي عن ابن عمر قال: لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد من فوقه ولا يحقر من دونه ولا يبتغي بعلمه ثمنًا ".

وعنه عن مسعر قال: قال: سمعت عبد الأعلى التيمي يقول : من أوتي من العلم ما لا يبكيه ، لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه ، لأن الله تعالى نعت العلماء، ثم قرأ القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾إلى قوله تعالى : ﴿ يَبْكُونَ ﴾ .

وعنه عن أبي حازم قال: لا تكون عالمًا حتى يكون فيك ثلاث خصال:

لا تبغي على من فوقك ، ولا تحتقر من دونك ، ولا تأخذ على علمك دنيًا".

وعنه عن أبي الدرداء قال لا تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملًا، وكفى بك إثمًا أن لا تزال مخاصمًا، وكفى بك إثمًا أن لا تزال مماريًا، وكفى بك كاذبًا أن لا تزال محدثًا في غير ذات الله.

وعنه عن عمران المنقري قال: قلت للحسن يومًا في شيء قاله: يا أبا سعيد ليس هكذا يقول الفقهاء.

فقال: ويحك ورأيت أنت فقيهًا قط ؟ إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة ، البصير بأمر دينه، المداوم على عبادة ربه.

وعنه عن علي بن أبي طالب قال: إن الفقيه حق الفقيه من لم يُقَنِّط الناس من رحمة الله، ولم يُرَخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره. إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا

علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها".

وَعَنْ كَعْب قَالَ : إنِّي لأَجد نَعْت قَوْم يَتَعَلَّمُونَ لغَيْر الْعَمَل ، وَيَتَفَقَّهُونَ لغَيْر الْعبَادَة ، وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بعَمَل الآخرَة ، وَيَلْبَسُونَ جُلُود الضَّأن ، قُلُوبهمْ أَمَرُّ منْ الصَّبْر ; فَبي يغْتَرُّونَ ، وَإيَّاي يُخَادعُونَ ، فَبي حَلَفْت لأُتيحَنَّ لَهُمْ فتْنَة تَذَر الْحَليم فيهمْ حَيْرَان " .[(١)]

وعنه عن هرم بن حيان أنه قال: إياكم والعالم الفاسق. فبلغ عمر بن الخطاب فكتب إليه وأشفق منها ما العالم الفاسق ؟ .

قال: فكتب إليه هرم يا أمير المؤمنين والله ما أردت به الا الخير، يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، فيشبه على الناس فيضلون.

آداب العالم والمتعلم...

اعلم يا بني أنه لو كان لكل شيء آداب وضوابط، لكان العلم والتعلم أحوج الأشياء إليهما. التي لولاها ما كان ثَمَّ علم ينتفع به، ولا علماء نافعين.

فمن آداب طالب العلم...

١ـ أن تكون نيته خالصة لوجه الله تعالى، وأن يقصد من تعلمه نفع نفسه والناس، لا أن تكون لطلب رياسة، أو مكانة عند الناس، ولفت أنظارهم.

فَعَنْ ابْن عُمَرَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ طَلَبَ الْعلْمَ لغَيْر الله أَوْ أَرَادَ به غَيْرَ الله فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ منْ النَّار" .[(٢)]

---

(١) أخرجه الترمذي .

(٢) رواه ابن ماجة

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِتَصْرِفُوا وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ ". (١)

فالعلم أمانة في حفظه، وتبليغه على الوجه اللائق به، ولا يقوم بحقه إلا المخلصين.

وهو لا "ينفع إلا بالعمل به، والعمل لا ينفع إلا بالإخلاص فيه. كل عمل بلا إخلاص لا ينفع ولا يقبل من عامله.

إذا علمت ولم تعمل كان العلم حجة عليك". (٢)

٢ـ أن يقبل على طلب العلم دون شاغل عنه، وأن ينغمس فيه بكل جوارحه، وأن يعطيه كل وقته، ويبذل فيه كل طاقته.

وبغير ذلك فلن يجد طالب العلم من العلم إلا قشورًا، وقشور العلم كالجهل سواء.

إن عطاء العلم عزيز يا بني ولن تدرك منه شيئًا إلا بعد جهد مضني، هذا حظ المُجدِّين فيه، فما بالك بالمقصرين عنه.

ولهذا قالوا: إعطي العلم كلك، يعطيك العلم بعضه.

٣ـ على طالب العلم أن يُوثق صلته بالله تعالى، وأن يكون معه على طريق مستقيم ، لأن العلم نور وفهم، ولا بد لهما ـ وما أحوج الأمة إليهما ـ من طهارة الظاهر والباطن. وإلا صار حفظ وتكرار، دون استيعاب لما يُقرأ أويُكتب.

---

(١) رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه من حديث جابر بن عبد الله

(٢) الفتح الرباني والفيض الرحماني ص٢٢٥

ولأنه طريق إلى الله تعالى، فلابد للنفس أن تكون على استعداد.

٤ـ على طالب العلم" كذلك أن لا يتكبر على العلم، ويتواضع لمعلمه، ويُلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل، ويُذعن إليه إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، وإن كان معلمه أصغر منه سنًا، وأقل منه شهرة ونسبًا، فبالتواضع والصبر على ذل التعليم ينال العلم". (١).

٥ـ على طالب العلم أن يُعمل عقله فيما يحصل عليه من علم، وأن يفكر في كل ما يقرأ ويسمع. فما رفضه عقله لا يقبله، وما لم يستوعبه فكره لا يعمل به.

لأن العلم الزائف، والأقوال المضللة، والمذاهب المنحرفة، على نقيض العقل الراجح ، والفكر المستقيم، والفطرة السليمة.

وهذه الصفات الناقصة أبعد ما تكون لتصديق الخرافات والأساطير، والدجل والشعوذة، وتصديق القصص التي يرويها العامة عن المعجزات وخوارق العادات.

تلك التي تخدر العقول، وتعطل عملها. وتبعثر الأفكار البناءة ، ليحل مكانها كل فكر عقيم متخلف. وتفصل الإنسان عن واقعه، وتجعله يعيش حبيس أوهامه وأحلامه.

وتمحق كل حضارة قائمة أو ناشئة.

---

(١)أحمد فريد / البحر الرائق في الزهد والرقائق/ القاهرة المكتبة التوفيقية ٢٠٠٨ ص٤٣، ٤٤

آداب العالم :

ومن أهم آداب العالم

١ـ أن لا يبتغي بعلمه وتعليمه إلا وجه الله تعالى، وأن يُخرج من خاطره حب الرياسة، ولفت الأنظار، والتميز على الأقران.

وأن لا يكون أكبر همه من تعليمه الناس جمع المال، والتمتع بزينة الحياة.

٢ـ التواضع في نفسه والتواضع لمن يُعَلِّم والرفق به، وقد" روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: تعلموا العلم وتزينوا معه بالوقار والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولمن تعلمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فيذهب باطلكم حقكم". [١]

فينبغي" له أن يشفق على من يطلب منه العلم، ويعتني بمصالحه كما يعتني بمصالح ولده وبمصالح نفسه، وينبغي له أن يتواضع لمن يتردد عليه، ويتعلم منه، فعن أبي أيوب السختياني أنه قال: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لله عز وجل".[٢]

٣ـ الترفع عن الصغائر، وما يخل بالمروءة، ويقدح في مصداقيته عند الناس ، ولهذا" قال علي بن أبي طالب ﷺ : تعلموا العلم، فإذا تعلمتموه فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك ولا بلعب فتمجه القلوب، فإن العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة". [٣]

---

(١)د فاطمة محجوب / الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية القاهرة دار الغد العربي ط الأولى ١/ ٣٢١ .

(٢) البحر الرائق في الزهد والرقائق ص٤٧ .

(٣) الموسوعة الذهبية١/ ٣٢١

٤ـ أن لا يكتم من العلم ما ينفع الناس. لأنه يُعرض نفسه للعنة الله تعالى وعذابه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾. [البقرة: ١٥٩].

فكل ما يعطيه الله تعالى لإنسان يمكن أن ينتفع به وينفع به الآخرين لا يجوز كتمه، ولا عذر لأحد في كتمه، كأن يقول: الناس لا يعملون به، ولا يعتنون به، لا فائدة في تغير أحوالهم.

وهذا خطأ لأن دور العلماء التبليغ، والتبليغ فقط، أما إدراك هداية الناس ليس في وسع أحد ولا في طاقته، ولا حتى الأنبياء أنفسهم صلوات الله عليهم.

ولذلك كان دور الأنبياء هو التبليغ فقط، أما هداية الناس فلا دخل لهم بها، فهذا أمره إلى الله تعالى وحده قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص٥٦].

وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية ٢١، ٢٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ. والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [المائدة ٦٧]. [1]

(١) رواه مسلم والترمذي.

وقد حذر النبي ـ ﷺ ـ كل من عنده علم ويكتمه الناس، لأن العلم أمانة، وكتمه خيانة، قال النبي ـ ﷺ ـ:"**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**". [١]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**". [٢]

فتعلّم يا بني" واعلم وعَلّم، فإن ذلك مجمع لك الخير بأسره. إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها، وعلمتها غيرك، كان لك ثوبان، ثواب العلم وثواب التعليم.

الدنيا ظلمة والعلم نور فيها، فمن لا علم له فهو يتخبط في هذه الظلمة، ويُفسد أكثر مما يُصلح". [٣]

مراتب التعلم ستة وحرمان العلم بستة :

واعلم أن للتعلم ست مراتب:

أولها: حسن السؤال.

ثانيها: حسن الإنصات والاستماع.

ثالثها: حسن الفهم.

رابعها: الحفظ.

خامسها: التعليم.

---

(١) رواه ابن ماجة من حديث أنس بن مالك.
(٢) رواه أحمد وابن حبان.
(٣) الفتح الرباني والفيض الرحماني ص٢٢٦.

سادسها: وهي الثمرة.. العمل به ومراعاة حدوده.

وحرمان العلم يكون بستة أوجه:

أحدها: ترك السؤال.

الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع.

الثالث: سوء الفهم.

الرابع: عدم الحفظ.

الخامس: عدم نشره وتعليمه. فمن خزن علمه، ولم ينشره، ابتلاه الله بنسيانه، جزاءً وفاقًا.

السادس: عدم العمل به، فإن العمل به يُوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه، فإذا أهمل العمل به نسيه.

قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به.

وقال بعضهم: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه، وإلا ارتحل، فما استدر العلم واستجلب بمثل العمل به". [١]

وقال ابن مسعود:" من تعلم علمًا لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبرًا ".[٢]

(١) غذاء الألباب ص٤٣،٤٤.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي/ الكبائر/ بيروت منشورات دار مكتبة الحياة١٩٩٠م ص١٦٧،١٦٨.

من فوائد العلم :

١ـ به يُعرف الله ويُعبد ويُوَحَد.

٢ـ هو أساس صحة الاعتقادات والعبادات.

٣ـ طلب العلم عبادة.

٤ـ هو طريق الوصول إلى الجنة.

٥ـ يكسب صاحبه الخشية لله.

٦ـ يكسب صاحبه التواضع للخَلق.

٧ـ ينتفع به صاحبه وينتفع به غيره ممن علَّمه.

٨ـ يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه.

٩ـ يورث صاحبه أعلى المراتب بعد الأنبياء.

١٠ـ يرفع الوضيع ويُعزُّ الذليل، ويجبر الكسير.

١١ـ هو دليل حب الخير للآخرين لحرص صاحبه على إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

١٢ـ به تُوصَل الأرحام، وتُؤَدى الحقوق".(١)



(١) نضرة النعيم٧/ ٢٩٨٢.

٥- التفاؤل والتطير

اعلم يا بني ويا بنيتي أن التطير: التشاؤم بالمكروه، وعكسها التفاؤل بالمحبوب، وقد كان الناس يصدون به عن مقاصدهم فنفاه الشارع وأبطله، ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو ضر". [١]

الإسلام لا يحب لأتباعه أن تتوقف حياتهم، وأعمالهم، إيجادًا وعدمًا، على مجرد التفاؤل والتشاؤم.

فالإسلام أمر أتباعه بالعمل والسعي في مناكب الأرض، وأن يأخذوا بالأسباب في كل ما من شأنه أن يغنيهم عن غيرهم، وما يُعلي شأنهم بين الأمم.

فعلى كل مسلم أن يخطو في حياته العملية بخطوات ثابتة، خطوات مدروسة، على أسس علمية ومنطقية، حتى يجد لما يعمله ثمرة وعائدًا.

والتطير عادة من عادات العرب قبل الإسلام، كان أحدهم إذا أراد سفرًا، أو إمضاء أمر زجر طائرًا، فإن طار ناحية اليمين مضى الرجل في سفره، أو في أمره، وهو مطمئن النفس واثقًا.

وإن طار ناحية اليسار رجع، أو لا يمضي في أمره. ولا يخفى ما في ذلك من محاولة خاسرة لمعرفة الغيب، وبعد عن الله تعالى، وعدم الثقة به سبحانه.

---

(١) الموسوعة الذهبية٩/ ٥١٧

إن النفوس الضعيفة المريضة هي التي تعلق نفسها، وتعلق فشلها، أو ما يصيبها من سوء ومضرة، على أشياء تافهة لا علاقة لها بما حدث لها، لتُبعد نفسها عن كل أسباب التقصير والفشل. كأن تقول: إن سبب ما حدث لها هو رؤية فلان أو فلانة من الناس، أو رأيت طائرًا لا أحب رؤيته، وكلما رأيت هذا أو ذاك حدث مكروه.

وإن المسلم الحق لينأى بنفسه عن تلك السخافات والتكهنات، التي تغضب الله تعالى، لأنها شرك به تعالى، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ". (١)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ". (٢)

ولا يكثر التطير إلا ممن كفر بالله تعالى، وغالى في الابتعاد عنه، وما ذكر في القرآن إلا في معرض الحديث عنهم.

فقد تشاءم قوم موسى منه وممن معه قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وتشاءم قوم ثمود من نبيهم صالح قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النمل: ٤٧].

وتشاءم قوم بنبيهم فقال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾. [يس ١٨، ١٩].

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والبيهقي.
(٢) رواه أبو داود.

من مضار التطير ...

١ـ يُنافي الإيمان ويضاد التوكل.

٢ـ لا يدفع مكروهًا، ولا يجلب حبوبًا.

٣ـ دليل قِلة العقل، وذهاب الحلم.

٤ـ اضطراب النفس، وبلبلة الفكر.

٥ـ الفشل في الحياة.

٦ـ دعوة إلى تعطيل المصالح وترك السعي.

٧ـ صفة من صفات الجاهلية، وعادة مذمومة من عاداتهم.

٨ ـ دعوة صريحة للكفر بالقضاء والقدر.

٩ـ تجعل الإنسان عبدًا للخزعبلات والدجل.

١٠ـ فيها مخالفة صريحة لأمر الرسول ـ ﷺ ـ ". (١)

لا بأس بالتفاؤل...

وهو: الكلمة الطيبة التي يستبشر بها الإنسان، فَعَنْ أَنَس بْن مَالك عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: " **لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ، قَالَ قِيلَ وَمَا الْفَأْلُ قَالَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ** ". (٢)

وَعَنْ عُرْوَةَ بْن عَامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنِ الطِّيَرَةِ، فَقَالَ: " **أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ**

(١) نضرة النعيم ٩/ ٤١٩٩.

(٢) متفق عليه.

السَّيِّئَاتِ إلا أَنْتَ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِكَ " .[١]

من فوائد التفاؤل...

١ـ حسن الظن بالله تعالى.

٢ـ يجلب السعادة إلى النفس والقلب.

٣ـ ترويح للمؤمن وسرور له.

٤ـ في الفأل تقوية للعزائم، ومعونة على الظفر، وباعث على الجِد.

٥ـ في التفاؤل اقتداء بالسنة المطهرة وأخذ بالأسوة الحسنة، حيث كان المصطفى ـ ﷺ ـ يتفاءل في حروبه وغزواته". [٢]



(١) رواه أبو داود .
(٢) نضرة النعيم٣/ ٩٠٨ .

٦ـ التواضع...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن التواضع خُلُق كل صالح، وزينة كل تقي، ما تجمل أيٌّ متجمل بمثله.

وهو علامة العلم والمعرفة.

ما التزمه إلا كل عارف بربه، وكل عالم بحقيقته.

إذا عرفت حقيقتك يا بني كان الكبر أبعد الأشياء عنك، وما فارقت التواضع.

فما هي حقيقتك ؟

هل أنت إلا خلق من خلقه؟

تأكل وتشرب. تفرح وتحزن.

تصح وتمرض. تقوى وتضعف.

تشب وتهرم.

تجد وتعدم. تغتني وتفتقر.

تحسن وتسيء. تعلم وتجهل.

تخاف وتأمن.

لا تملك لنفسك ـ ولا لغيرك ـ نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا. لا تقدر في ملك الله تعالى أن تُعطي من حرم، أو تحرم من أعطى،

أو تُقدم ما أخر، أو تُؤخر ما قدّم.

على أي شيئ إذًا تتكبر؟ إنَّ التواضع واجب في حق مَن هذه صفاته.

إنه لا يتكبر يا بني إلا كل جاهل، ناقص العقل، مغتر بسراب.

قال "منصور الفقيه:

تتيه وجسمك من نطفة ∴ وأنت وعاء لما تعلم

وقال بعضهم: (١)

وأحسن أخلاق الفتى وأتمها ∴ تواضعه للناس وهو رفيع

وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه ∴ رفيعًا وعند العالمين وضيع(١)

أنت عبد يا بني... وكل عبد التواضع في حقه فرض.

وإلا فما تركت لربك؟

ما تركت للملك الذي خلق وقدَّر؟

ثم استغنى عن كل ما خلق وقدَّر.

واحتاج إليه كل من خلق وقدر.

إذا خَلَقت يا بني فتكبر.

إذا استغنيت فتكبر.

إذا رُفِعَت إليك حوائج العباد فتكبر.

وإلا... فإنك تُعَرِّض نفسك لغضبة المتكبر وعذابه، فعن أبي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: رسولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: " **قال الله عزَّ وجلَّ**

(١) غذاء الألباب ٢/ ٢٣٣.

العِزُّ إزاري ، والكِبْرياءُ رِدائِي ، فَمَنْ يُنَازِعُني في واحدٍ منهُما فقدْ عذَّبْتُه". [١]

وعن عبد الله بن مسعُود رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم قال : " لا يَدْخُلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبه مثْقَالُ ذرَّةٍ مَنْ كِبر " فقال رَجُلٌ : إنَّ الرَّجُلَ يُحبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُه حسنًا ، ونعلهُ حسنا قال : " إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ ". [٢]

وقد عده ابن القيم أحد أركان الكفر الأربعة فقال:" أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة.

* فالكبر يمنعه الانقياد.

* والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها.

* والغضب يمنعه العدل.

* والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة.

فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الانقياد، وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله، وإذا انهدم ركن الغضب سهل عليه العدل والتواضع، وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة. وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمن بُلي بها، ولا سيما إذا صارت هيئات راسخة وملكات وصفات ثابتة، فإنه لا يستقيم له معها عمل ألبتة ولا تزكو نفسه مع قيامها بها. وكلما اجتهد في العمل أفسدته عليه هذه الأربعة ، وكل الآفات متولدة منها ".[٣]

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه مسلم والترمذي

(٣) ابن القيم / الفوائد/ القاهرة مكتبة أسامة الإسلامية ص١٧٤،١٧٥ .

إن المتكبر يا بني قد شُغل بنفسه عن مشاهدة عظمة الله تعالى، ولو لاحظها لصغرت وتلاشت، ولأنها لا تحب ذلك فإنها تذهب بصاحبها حتى تهلكه بغضبة المتكبر عليه.

وإن كنت من العُبَّاد ـ وأرجو الله أن تكون منهم ـ فعليك أن" لا تغتر بطاعتك وتُعْجَب بها، اسأل الحق سبحانه وتعالى قبولها، واحذر وخف أن ينقلك إلى غيرها، إيش آمنك أن يقال لطاعتك: كوني معصية ولصفائك كن كدرًا ؟ من عرف الله عز وجل لا يقف مع شيء، ولا يغتر بشيء.

لا يأمن حتى يخرج من الدنيا على سلامة دينه، وحفظ ما بينه وبين الله عز وجل". (١)

واعلم يا بني أن الكبر"درجات تبدأ بالاستكبار على الناس، وتنتهي بالاستكبار على عبادة الله. وكلها خُلق مقيت مرذول، ولا يصدر عن نفس سوية مستقيمة، لذلك يقول الرسول ـ ﷺ ـ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ". (٢)

وغالبًا ما يكون الكبر في نفوس من حصلوا على شيء من متاع الحياة الدنيا من مال أو جاه أو سلطان.

ولكنه ليس وقفًا عليهم، ويمكن أن يتسرب إلى أي نفس مريضة. فيصاب صاحبها بما يسميه المعاصرون " جنون العظمة " ولو كان من أحقر الناس". (٣)

واعلم أن" الكبر من عظيم الآفات، عنه تشعب أكثر البليات، يُستوجب

---

(١) الفتح الرباني والفيض الرحماني ص٧٩ .
(٢) رواه مسلم
(٣) محمد قطب/ ركائز الإيمان/ القاهرة دار الشروق ط الثانية ٢٠٠٥م ص ١١٩ .

به من الله عز وجل سرعة العقوبة والغضب، لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه، إذ كل من سواه عبد مملوك، وهو المليك الإله القادر.

فعظم عند الله عز وجل الكبر ذنبًا، إذ كان لا يليق بغيره، فإذا فعل العبد ما لا يليق إلا بالمولى جل وعز، اشتد غضب المولى تعالى عليه ".[١]

من مضار الكبر ...

١ـ طريق موصل إلى غضب الله وسخطه.

٢ـ دليل سفول النفس وانحطاطها.

٣ـ يُورث البعد عن الله، والبعد عن الناس.

٤ـ الشعور بالعزلة، وضيق النفس وقلقها.

٥ـ اشمئزاز الناس منه وتفرقهم من حوله.

٦ـ استحقاق العذاب في النار.

٧ـ هلاك النفس، وذهاب البركة من العمر.

٨ ـ الكبر من الأسباب التي تبعد المتكبر عن طاعة الله.

٩ـ جزاء المتكبر الطرد من رحمة الله.

١٠ـ المتكبرون يصرفهم الله عز وجل عن آياته، فتعمى بصائرهم ولا يرون الحق". [٢]

---

(١) الرعاية لحقوق الله ص٣٧٣

(٢) نضرة النعيم١١/ ٥٣٨٠.

النبي - ﷺ - متواضعا ...

اعلم يا بني أن التواضع هو خُلق النبي - ﷺ - والأنبياء من قبله، وخُلق كل صالح على مر الزمان.

النبي سيد ولد آدم... كان متواضعًا.

النبي حامل لواء الحمد يوم القيامة... كان متواضعًا.

النبي أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة... كان متواضعًا.

النبي ذو الشفاعة العظمى يوم القيامة... كان متواضعًا.

النبي أول شافع ومُشَفَّع يوم القيامة... كان متواضعًا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَائِشَةُ، لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ : إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا ، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ ، فَقُلْتُ : نَبِيًّا عَبْدًا . قَالَتْ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ لا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا ، يَقُولُ : آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ" . (١)

وقد أُمر النبي - ﷺ - بالتزام هذا الخلق، وألا يحيد عنه، فقال الله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾. [الحجر: ٨٨] .

وقال تعالى:﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ .

[الشعراء: ٢١٥] .

(١)رواه أبو يعلى في مسنده.

وهو" اللين والتواضع والرفق في صورة حسية مجسمة. صورة خفض الجناح، كما يخفض الطائر جناحيه حين يهم بالهبوط.

وكذلك كان رسول الله - ﷺ - مع المؤمنين طوال حياته. فقد كان خُلقه القرآن. وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم". (١)

فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ: " **لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ** ". (٢)

وعن أبي موسى قال: كان رسول الله - ﷺ - يركب الحمار ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف". (٣)

وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " **مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ تَوَاضُعًا لِلَّهِ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ ، حَتَّى يُخَيِّرَ فِي حُلَلِ الإِيمَانِ يَلْبَسُ أَيَّهَا يَشَاءُ** ". (٤)

وعَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " **مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً ، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعْهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ** ". (٥)

وعَنْ عِيَاضِ بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا**

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٢٠.

(٢) رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه عن أبي مسعود.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه.

(٥) رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلي.

يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ". [١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ ". [٢]

ومما ورد من الآثار في التواضع:" قال عمر رضي الله عنه: إن العبد إذا تواضع لله رفع حكمته وقال انتعش رفعك الله، وإذا تكبر وعدا طوره رهصه الله في الأرض وقال: اخسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير. حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير". [٣]

واعلم يا بني أنَّ " من أثبت لنفسه تواضعًا فهو المتكبر حقًا. ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثْبَتَّ لنفسك تواضعًا فأنت المتكبر.

قلت: التواضع هو مجاهدة النفس في وضعها وسقوطها، فهي تريد الرفعة، وأنت تريد السقوط ". [٤]

" يُروى عن رجل من أصحاب داود الطائي أنه قال: دخلت على داود فقال لي: ما حاجتك؟ ، قلت: زيارتك.

فقال: أما أنت فقد عملت خيرًا حين زرتنا، ولكن انظر ماذا ينزل إذا قيل لي: من أنت فتزار؟ من العباد أنت؟ لا والله. أمن الزهاد أنت؟ لا والله.

ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول: كنت في الشباب فاسقًا، وفي الكهولة مداهنًا، فلما شخت صرت مرائيًا.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٦١ .
(٤) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٥٠٢ .

لا والله إن المرائي أشر من الفاسق.

وجعل يقول: يا إلاه السماء والأرض هب لي رحمة من عندك تصلح شبابي، وتقيني من سوئي، وتُعلِ في أعلى الصالحين مقامي". [١]

و" ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع.

قلت: التواضع الحقيقي هو الذي ينشأ ممن يشاهد الأشياء كلها منه، فإذا تواضع معها رأى أنها تستحق أكثر من ذلك التعظيم، وأن نفسه في الدناءة والذل دون، أي أسفل مما صنع من التواضع.

وليس المتواضع الذي يرى لنفسه مزية على الأشياء، فإذا تواضع معها رأى أن نفسه فوق وأفضل مما صنع من التواضع، فهذا هو المتكبر، لأنه أثبت لنفسه تواضعًا أكثر مما تستحقه". [٢]

ولهذا يا بني فإن" التواضع الحقيقي: هو ما كان ناشئًا عن شهود عظمته، وتجلي صفته.

قلت: التواضع الحقيقي: هو تواضع العارفين، لأنه ناشئ عن شهود عظمة الحق، وتجلي ذاته وصفاته". [٣]

---

(١) أبو الفرج الجوزي / بحر الدموع / طنطا دار الصحابة للتراث ط الأولى ١٩٩٢م ص١٢٩
(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٥٠٣
(٣) المصدر السابق ص٥٠٥

من فوائد التواضع :

١ـ التواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين، ودليل محبة رب العالمين.

٢ـ وهو طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى جنته.

٣ـ وهو السبيل إلى القرب من الله، ومن ثَم القرب من الناس.

٤ـ التواضع عنوان سعادة العبد في الدارين.

٥ـ يحب الله المتواضعين ويكلؤهم برعايته ويُحيطهم بعنايته.

٦ـ المتواضعون آمنون من عذاب الله يوم الفزع الأكبر.

٧ـ وهو دليل على حسن الخاتمة وعلى حسن الخُلُق.

٨ ـ التواضع يُؤدي إلى حصول النصر والبركة في المال والعمر". [١]



(١) نضرة النعيم ٤/ ١٢٦٨.

٧ـ جهاد النفس

اعلم يا بني ويا بنيتي أن نفسك من أعدائك. ولشدة قربها منك، ولأنها أكثر من ينتفع منك، كانت أشد أعدائك، وأكثر من يوردك المهالك.

ولهذا يا بني كان من أعظم أعمال المسلم، وأكثر ما يرجو نفعه وخيره، هو محاربة نفسه، ومخالفة هواها. كل ذلك على الدوام، بلا تخاذل ولا هوادة.

وقد جعل الله تعالى هذا العمل سببًا من أسباب الفلاح والنجاة، والفوز بالجنة في دار المقامة قال الله تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾. [النازعات٤٠ ،٤١] .

وعليك أن تعلم أن النفس دون تهذيبها ومراقبتها، وكبح جماحها، وإلزامها ما أمر الله تعالى به هي نفس فاسدة مفسدة، لا تأمر صاحبها إلا بسوء، ولا توردہ إلا المهالك. قال الله تعالى:﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف :٥٣] .

وقد ذكر ابن الجوزي في مواعظه معنًا رائعًا، فلتتدبره ولتعمل به، وهذا بعض ما ذكره" أيها العبد: حاسب نفسك في خلوتك، وتفكر في انقراض مدتك، واعمل في زمان فراغك لوقت شدتك، وتدبر قبل الفعل ما يُملى في صحيفتك، وانظر: هل نفسك معك أو عليك في مجاهدتك.

لقد سعد من حاسبها.

وفاز والله من حاربها.

وقام باستيفاء الحقوق منها وطالبها.

وكلما ونت عاتبها، وكلما تواقفت جذبها.

وكلما نظرت في آمال هواها غلبها.

فَعَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّاد بْن أَوْس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللهِ"** . (١)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :"حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وطالبوا بالصدق في الأعمال قبل أن تطالبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا، وتزينوا للعرض الأكبر:"يَومَئِذٍ تُعرَضُونَ لَا تَخفَى مِنكُم خَافِيَةٌ"٠

وقال الحسن البصري رحمه الله:" أيسر الناس حسابًا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله عز وجل في الدنيا، فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الدين لله هموا بالله، وإن كان عليهم أمسكوا. وإنما يثقل الحساب على الذين أهملوا الأمور،فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر فقالوا: ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ [الكهف:٤٩] .

وقال أبو بكر البخاري: من نفر عن الناس قل أصدقاؤه، ومن نفر عن ذنوبه طال بكاؤه، ومن نفر عن مطعمه طال جوعه وعناؤه.

ونقل توبة بن المعلم أنه نظر يومًا وكان محاسبًا لنفسه، فإذا هو ابن ستين

---

(١)رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه عن شداد بن أوس .

إلا عامًا، فحسبها أيامًا، فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتى ألقى المليك بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب، فكيف ولي في كل يوم عشرون ألف ذنب؟ ثم خر مغشيًا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا هاتفًا يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى.

إخواني: المؤمن مع نفسه لا يتوانى عن مجاهدتها، وإنما يسعى في سعادتها، فاحترز عليها واغتنم لها منها، فإنها إن علمت منك الجد جدت، وإن رأتك مائلًا عنها صدت، وإن حثها الجد بلحاق الصالحين سعت وقفت، وإن تهانى في حقها قليلًا وقفت، وإن طالبها بالجد لم تلبث أن صفت وأنصفت، وإن مال عن العزم أماتها، وإن التفت عربدت، من صبر على حر المجلس خرج إلى روح السعة، من رأى التناهي في المبادي سلم، ومن رأى التناهي هلك، لأن مشاهدة التناهي تقصير أمله، ومشاهدة المبادي في التناهي تسوف عمله.

وفي الجملة: من راقب العواقب سلم. يا هذا: هلال الهدى لا يظهر في غيم الشبع، ولكن يبدو في صحو الجوع وترك الطمع، واحذر أن تميل إلى حب الدنيا فتقع، ولا تكن من الذي قال: سمعت وما سمع، ولا ممن سوّف يومه بغده فمات ولا رجع. كلا ليندمن على تفريطه وما صنع، وليسألن عن تقصيره في عمله وما ضيع، فيا لها من حسرة وندامة وغصة تجرع، عند قراءة كتابه وما رأى فيه وما جمع، فبكى بكاء شديدًا فما نفع، وبقي محزونًا لما رأى من نور المؤمن يسعى بين يديه وقد سمع، فلا ينفعه الحزن ولا الزفير ولا البكاء ولا الجزع". [١]

---

(١)ابن الجوزي / مواعظ ابن الجوزي/ الإنترنت موقع روح الإسلام.

من فوائد مجاهدة النفس...

١ـ إخضاع النفس والهوى لطاعة الله عز وجل.

٢ـ إبعادها عن الشهوات وصد القلب عن التمني والتشهي.

٣ـ تعود الصبر عند الشدائد على الطاعات وعن المعاصي.

٤ـ طريق قويم يوصل إلى رضوان الله تعالى والجنة.

٥ـ قمع للشيطان ووساوسه.

٦ـ نهي النفس عن الهوى فيه خير الدنيا والآخرة.

٧ـ من جاهد نفسه وأدبها سما بين أقرانه وفي مجتمعه.

٨ـ سوء الظن بالنفس يعين على محاسبتها وتأديبها.

٩ـ من يجاهد نفسه يمتلك ناصية الخير، ويصبح حسن الأخلاق.

١٠ـ تُحقق إنكار الذات، وتُصفي الجماعة من الأثرة الضارة بالجماعة والمجتمع ". [١]



(١)نضرة النعيم ٨/ ٣٣١٦ .

٧ـ الصلاة



اعلم يا بني ويا بنيتي أن الصلاة من أعظم مظاهر الدين، وقوام بقائه، فلا دين لأحد، ولا دين في الأرض إذا ضُيعت الصلاة.

وهي الركن الثاني من أركان الإسلام الذي بُني عليه ، فَعَنْ عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ عَنْ أبيه قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "**. [١]

وهي وسيلة الوصل المتكررة بين العبد وربه. فهي "صلة ولقاء بين العبد والرب. صلة يستمد منها القلب قوة، وتحس فيها الروح صلة، وتجد فيها النفس زادًا أنفس من أعراض الدنيا... ولقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا حَزَبَه أمر فزع إلى الصلاة، وهو الوثيق الصلة بربه، الموصول الروح بالوحي والإلهام.. وما زال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زادًا للطريق، وريًا في الهجير، ومددًا حين ينقطع المدد، ورصيدًا حين ينفد الرصيد". [٢]

وهي سُلَّم الترقي، وحياة القلوب، ومرضاة المعبود.

وهي مدعاة التطهر، تزيل الأرجاس، وتمحق الذنوب.

وهي منبع النور، تضيئ الوجه، وتبهج النفوس.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والبيهقي من حديث ابن عمر.
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٦٩.

وهي مصدر الطمأنينة، تسكن القلب، وتريح الخاطر.

ولذلك قال النبي - ﷺ - في الإذن بإقامتها : " **قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ** ". (١)

وهي مصدر قرة عين النبي - ﷺ - وبهجة روحه، وملتقى حبيبه.

لذلك قال النبي - ﷺ -: "**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**". (٢)

وهي خير أعمال المسلم ، فَعَنْ مَالِك ، أَنَّهُ بَلَغَهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " **اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْمَلُوا وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ** ". (٣)

وهي محل عنايته، ما حرص على مثلها، وهي آخر ما وصى به.

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيصُ بِهَا لِسَانُهُ ". (٤)

وهي جنة الله تعالى في أرضه، وهي سبب في دخول جنة المأوى، بها ترفع الدرجات،وتغفرالسيئات،أوصى بها النبي - ﷺ - من أراد مرافقته في الجنة.

فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ:سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيَّ يَقُولُ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَبِحَاجَتِهِ فَقَالَ: سَلْنِي

---

(١) رواه أبو داود من حديث محمد بن الحنفية.

(٢) رواه البيهقي والحاكم في مستدركه من حديث أنس.

(٣) رواه مالك في الموطأ واللفظ له وأحمد وابن حبان والبيهقي والحاكم في مستدركه والدارمي من حديث ثوبان.

(٤) رواه أحمد

فَقُلْتُ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ هُوَ ذَاكَ قَالَ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ " (١)

وَعَنْ مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ أَوْ قَالَ: قُلْتُ بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **"عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً "** قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ " (٢)

وهي الناهية عن الفحشاء والمنكر قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وهذا النهي من أعظم منافعها الدينية والدنيوية، ودليل على أن صاحبها يؤديها على وجهها الصحيح. وإن انتفى هذا النهي كانت الصلوات حركات مفرغة من مضمونها الروحي. لا قيمة لها، ولا فرق بين أدائها وعدمه.

فعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **"مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ "**. وفي لفظ **"مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا "**. (٣)

وعن الحسن ـ أيضا رضي الله عنه قال: يا ابن آدم إنما الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإن لم تنهك صلاتك عن الفحشاء والمنكر فإنك لست

---

(١) رواه مسلم والنسائي وأبو داود والبيهقي.
(٢) رواه أحمد ومسلم
(٣) رواه ابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان

تصلي".[١]

وعن أبي العالية رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾. قال: الصلاة فيها ثلاث خلال. الإخلاص، والخشية، وذكر الله. فكل صلاة ليس فيها من هذه الخلال فليس بصلاة.

فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله يأمره وينهاه".[٢]

وهي المُمَيِّزة: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩] ، ولا شك في أن للصلاة تأثير قوي في الروح، يظهر أثرها على صفحات وجه صاحبها، ليس في الآخرة وحسب، كما فسر النبي ـ ﷺ ـ هذه السمة بقوله:" النور يوم القيامة".[٣] ، بل وفي الدنيا أيضًا من "السمت الحسن والخُلق الرفيع ".[٤]

فأثرها في الدنيا معنوي، وفي الآخرة علامة حسية تفرقهم عن العصاة .

وإنك تستطيع أن تفرق ـ بنظرة ـ من يصلي، ومن لا يصلي، فالوجه مرآة الروح ، وكاشف سريرتها.

وقد ذكرها الله في كتابه إحدى وستين مرة. وأمر الله تعالى بإقامتها في كتابه إثنى عشر مرة بقوله تعالى: ﴿ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾. **البقرة٤٣ ،٨٣ - ١١٠ النساء٧٧، ١٠٣ - الأنعام٧٢ - يونس٨٧ - الحج٧٨ - النور٥٦**

---

(١)الامام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي/ الدر المنثور في التفسير المأثور/ بيروت دار الفكر ١٩٩٣م ٦/ ٤٦٦

(٢) المصدر السابق٦/ ٤٦٤

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والأصغر من حديث أبي بن كعب

(٤)رواه البيهقي من حديث ابن عباس .

- الروم٣١ - المجادلة ١٣ - المزمل ٢٠

وخمس مرات بقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾. هود١١٤ - الإسراء٧٨ - طه١٤ - العنكبوت٤٥ - لقمان١٧ .

وفي خطابه للنساء ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأحزاب٣٣] .

وعندما يقول الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾. [الأعراف: ٢٩] فلا يراد بقوله تعالى إلا إقامة الصلاة.

احذر يا بني من التهاون في حقها، والتكاسل عن أدائها، لأن ذلك من صفات المنافقين قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء١٤٢] .

وترك الصلاة من أعظم الذنوب التي يرتكبها المسلم، لأنها أعظم ما فرض الله تعالى على عباده، ولذلك فهي أول ما يحاسب عليه العبد، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، فَإِنْ أَتَمَّهَا وَإِلَّا قِيلَ: انْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ أُكْمِلَتْ الْفَرِيضَةُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ ". (١)

و" قد كان عمر بن الخطاب يكتب إلى الآفاق... إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، "وَلا حَظَّ فِي الإِسْلامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ ". (٢)

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة

(٢) ابن القيم الجوزية / الصلاة / القاهرة دار عمر بن الخطاب ص٦

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن ترك الصلاة كفر. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: **كَانَ أَصْحَابِ مُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ الأَعْمَال تَرْكه كُفْر غَيْر الصَّلَاة** ".[١]

وَعَنْ جَابر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" بَيْنَ العَبْدُ وَبَيْنَ الكفر تَرْكُ الصَّلَاة "** .[٢]

وَعَنْ بُرَيْدَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا؛ فَقَدْ كَفَرَ "** .[٣]

وقوله - ﷺ -:" **بَيْنَ العَبْدُ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاة** ".[٤]

اعلم يا بني" أن الله عز وجل قد قدر الصلوات وقدمها على غيرها من العبادات، وإنما يحافظ عليها من يعرف قدرها، ويرجو أجرها، ويخاف العقاب على تركها، وهذه صفة المؤمن، وإنما يتوانى عنها ناقص الإيمان إن تكاسل، وكافر إن تهاون" .[٥]

من مضار ترك الصلاة :

١ـ طريق يُؤدي إلى الكفر والخروج من الملة.

٢ـ استحقاق سخط الله وغضبه.

٣ـ حلول النقم وذهاب النعم.

٤ـ دليل على قلة توفيق المرء وسوء عاقبته.

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه .
(٢) رواه ابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله.
(٣) رواه ابن ماجة من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه.
(٤) رواه مسلم من حديث جابر.
(٥) مواعظ ابن الجوزي .

٥ـ البعد عن الله والبغض من الناس.

٦ـ يُورث الهوان والذل في الدنيا والآخرة.

٧ـ يُحشر صاحبها مع هامان وقارون وفرعون وأُبي بن خلف.

٨ ـ يُحرم صاحبها نعمة لقاء الله ويُسمى مضيِّعًا لأمانة الله.

٩ـ يُحرم من أهم مصدر لتكفير السيئات وزيادة الحسنات". [(١)]

من فوائد الصلاة...

١ـ حضور القلب واستشعار عظمة الله في الصلاة.

٢ـ إذا أحضر المُصلي قلبه في صلاته فإنه يخرج من صلاته وقد غُفرت خطاياه.

٣ـ الصلاة راحة للنفس، فإذا أداها حق أدائها وجد نشاطًا وراحة ورواحًا.

٤ـ الدنيا سجن المؤمن يشعر فيها بالضيق، إذا دخل في الصلاة وجدها قُرّة عينيه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا.

٥ـ الصلاة صلة بين العبد وربه، وتُذكر العبد بدوام مراقبة الله عز وجل، فيحسن باطنه كما يحسن ظاهره.

٦ـ من أسباب إشاعة النظافة بين المؤمنين.

٧ـ تُقوي خلق المراقبة والخشية لله عز وجل.

٨ـ الصلاة قوة خلقية هائلة وفيها إحياء للضمائر المؤمنة، تأمرها بالخير، وتنهاها عن الشر". [(٢)]

---

(١) نضرة النعيم٩/ ٤١٦٧.
(٢)نضرة النعيم ٦/ ٢٥٨٤

٩ـ الصدق

اعلم يا بني ويا بنيتي أن الصدق ضد الكذب. وهو أحد وصفين اشتهر بهما النبي ـ ﷺ ـ قبل البعثة، والأمانة الصفة الثانية.

وهو" أصل المحمودات، وركن النبوات، ونتيجة التقوى، ولولاه لبطلت أحكام الشرائع". [١]

والصدق لغة:" مطابقة الحكم للواقع .

وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك.

وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب.

قال القشيري: الصدق أن لا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب". [٢]

اعلم يا بني أنك مأمور بالصدق، وأن تلزم الصادقين، وأن تلزم معيتهم، مناصرًا لهم ومؤيدًا قال الله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وهي معية مفروضة، على كل مؤمن ومؤمنة، لا خيار فيها. معية مطلقة لا تعرف وقتًا، ولا حدًا، ولا تميز بين صاحب وعدو، قريب أو بعيد، فالصدق له النصرة المطلقة ولو كان مع عدو بعيد.

(١)محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني / شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك/ بيروت دار الكتب العلمية ط الأولى١٩٩٠م ٤/ ٥٢٥.
(٢)التعريفات ص١٣٢ .

وإذا كان المؤمن لا يصاحب ولا يناصر إلا الصادقين، فعلى كل موحد بالله أن يلتزم الصدق، حتى لا يقع بقية المؤمنين الصادقين في حرج تجنبهم.

اعلم يا بني أن" الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة.

وقيل: الصدق موافقة السر النطق.

وقال النقاد: الصدق منع الحرام من الشدق.

وقال عبد الواحد بن زيد: الصدق الوفاء لله عز وجل بالعمل.

يقول سهل بن عبد الله: لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره.

قال أبو عيد القرشي: الصادق هو الذي يتهيأ له أن يموت، ولا يستحي من سره لو كشف.

قال الله تعالى: ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1] [البقرة: ٩٤].

" **فالصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به:**

صدق القلب بالإيمان تحقيقًا، وصدق النية في الأعمال، وصدق اللفظ في الكلام".[2]

فضل الصدق:

اعلم يا بني أن الصدق هو قوام كل قول أو فعل أو معتقد، إذا خلا من شيء صيره كالعدم، وسلبه كل شرف وزين، وشانه.

وهو"منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه

---

(١) الرسالة القشيرية ص٢١١.

(٢) رسالة المسترشدين ص١٧٠.

تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه. من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين".[1]

قال القاضي إياس بن معاوية المزني:" إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه".[2]

ولفضيلة الصدق استحق الصادقون الجزاء الأوفى وواسع المغفرة والأجر العظيم، الذي لا حد له ولا نهاية قال الله تعالى:﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾[الأحزاب : ٢٤] .

وقال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾

[الأحزاب:٣٥] .

(١) مدارج السالكين٢/ ٢٦٨.
(٢)البداية والنهاية ٥/ ٤٤٠.

علامات الصادقين...

اعلم يا بني أن الله قد ذكر في كتابه بعضًا من صفاتهم فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[الحشر: ٨].

فأعظم صور التصديق على الإطلاق هو التصديق بالله ورسوله، والمصدق بهما أفضل الصادقين على الإطلاق أيضًا.

وهو تصديق مقرون دائمًا أو متبوع بأعمال جسام كهجرة الديار، ومفارقة الأهل والأحباب رغبة في الله ورسوله، والفرار بالدين عن كل جاهل ومُفتن، وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، والاستعداد التام لنصرة الله ورسوله.

وأهل الصدق دائمًا يتعرضون للابتلاء والافتتان، حتى يتبين أمرهم ويمتازون عن غيرهم دون ريب أو مواربة، قال الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾[التوبة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾[محمد: ٢١].

ولا يُحْسب الصادق على أهل الصدق حتى يجتاز كل المحن والصعاب والفتن، بنفس مطمئنة صادقة.

"سئل الحارث المحاسبي عن علامة الصادق فقال: الصادق هو الذي لا يُبالي لو خرج كل قَدْر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله، ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم، وليس هذا من أخلاق الصديقين". [١]

من فوائد الصدق...

١ـ الصدق طريق الأبرار إلى الجنة.

٢ـ الصادقون هم أحباب الله المقربون.

٣ـ مدح الله أنبياءه وخلّاصة بأنهم مصدقون وصادقون، ويوم القيامة ينفعهم صدقهم.

٤ـ الصادقون يحبهم الناس، ويثقون بهم، ويأتمنونهم في سائر معاملاتهم.

٥ـ الصادق يعتز بنفسه، ويرفع نفسه بين أفراد مجتمعه.

٦ـ الصدق يرفع الأعمال ويُعلي شأنها.

٧ـ الصدق دليل القوة وسمة الثقة بالنفس.

٨ ـ الصدق منجاة والكذب مهواة.

٩ـ الصدق في الحديث يجعله مؤثرًا في القلوب.

---

(١)الرسالة القشيرية ص٢١٣، ٢١٤

١٠ـ الصادق محشور مع النبيين والشهداء والصالحين". [١]

وإذا ثبتت للصدق هذه المنزلة السامية، وللصادقين هذا الفضل العظيم فاعلم يا بني أن" الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، لأنه يُنتج النميمة، والنميمة تُنتج البغضاء، والبغضاء تئول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة.

ولذلك قيل: من قل صدقه قل صديقه". [٢]

و" قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق وقلما يفعل، أحب من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.

وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته.

وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان، الصبر والحلم توأمان، فيهن تمام كل دين، وصلاح كل دنيا، وأضدادهن سبب كل فرقة، وأصل كل فساد". [٣]

إياك يا بني أن تستدعي الكذب لمزاح، أو للفت الأنظار بأخبار كاذبة أو لتنتصر من عدو، أو لترفع محبوب.

أو تصف نفسك بما ليس فيها، لتُعلي قدرها، وترفع شأنها، أو لتجلب نفعًا زائفًا زائلًا، يذهب وتبقى عواقبه.

وإياك أن تستدعي الصدق في غير موضعه، فلا تذكر ـ ولو صادقًا

---

(١) نضرة النعيم ٦/ ٢٥٨٤.

(٢) أدب الدنيا والدين الماوردي ص٣٢٠.

(٣) المصدر السابق ص٣٢٢.

عيوب الآخرين، فتكشف خباياهم، وتفشي أسرارهم. ولا تذكر كلمة السوء لمن قيلت فيه ، لأنه في الهلكة كالكذب سواء.

واعلم يا بني أنّ في التعريض مندوحة ـ أي فسحة ومتسع ـ عن الكذب و" محل الجواز فيما يخلص من الظلم أو يحصل الحق، وأما استعمالها في عكس ذلك، من إبطال الحق أو تحصيل الباطل فلا يجوز". (١)

ومثاله قول إِسْحَاق : سَمِعْتُ أَنَسًا مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ فَقَالَ: كَيْفَ الْغُلَامُ؟ ، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ : هَدَأَ نَفَسُهُ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ وَظَنَّ أَنَّهَا صَادِقَةٌ ". (٢)

ومن أمثلته في التخلص من الظلم أنه" لما هزم الحجاجُ عبد الرحمن بن الأشعث، وقتل أصحابه وأسر بعضهم، كتب إليه عبد الملك بن مروان أن يعرض الأسرى على السيف، فمن أقر بالكفر خلي سبيله، ومن أبى يقتله.

فأتى منهم بعامر الشعبي، ومطرّف بن عبد الله بن الشّخّير، وسعيد بن جبير.

فأما الشعبي ومطرف فذهبا إلى التعريض والكناية، ولم يصرحا بالكفر، فقبل كلاهمت وعفا عنهما. وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقتل.

وكان مما عَرَّض به الشعبي، فقال: أصلح الله الأمير، نبا (نبا المنزل: بَعُدَ) المنزل، وأحزن (أحزن: غلظ) بنا الجناب، واستحلسنا الخوف(استحلسنا الخوف: فارقناه) واكتحلنا السهر، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. قال:" صدق والله، ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا،

(١) الحافظ ابن حجر العسقلاني / فتح الباري بشرح صحيح البخاري / القاهرة دار الغد العربي ط الأولى ١٦/ ٤٩.

(٢) رواه البخاري باب: المعاريض مندوحة عن الكذب.

خليا عنه.

ثم قُدِّم مطرف بن عبد الله، فقال له الحجاج: أتقر على نفسك بالكفر؟ قال: إن من شق العصا، وسفك الدماء، ونكث البيعة، وأخاف المسلمين لجدير بالكفر. قال: خليا عنه.

ثم قُدِّم إليه سعيد بن جبير، فقال له: أتُقرُ على نفسك بالكفر؟، قال: ما كفرت بالله مذ آمنت به. قال: اضربوا عنقه.

ولما ولي الواثق وأقعد للناس أحمد بن دؤاد للمحنة في القرآن، ودعا إليه الفقهاء ،أتي فيهم بالحارث بن مسكين، فقيل له: أتشهد أنَّ القرآن مخلوق قال: أشهد أن التوراة والإنجيل، والزبور والقرآن، هذه الأربع مخلوقة. ومد أصابعه الأربع، فعرّض بها، وكنى عن خلق القرآن وخلّص مهجته من القتل".[1]

من مضار الكذب...

١ـ الكذب وسيلة لدمار صاحبه، أمماً وأفراداً.

٢ـ الكذب قد يُؤدي بصاحبه إلى النار.

٣ـ الكذب سراب يُقرب البعيد ويُبعد القريب.

٤ـ الكذب يُذهب المروءة والجمال والبهاء.

٥ـ الكذاب لص يسرق العقل، كما يسرق اللص المال.

٦ـ الكاذب مُهان ذليل.

٧ـ الأمم التي كذّبت الرسل لاقت مصيرها من الدمار والهلاك.

---

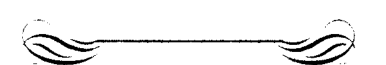
(١) ابن عبد ربه الأندلسي / العقد الفريد / بيروت دار صادق ط الأولى ٢٠٠١م ٢/ ٣٩٤.

٨ ـ يُرث فساد الدين والدنيا.

٩ـ دليل على خسة النفس ودناءتها.

١٠ـ احتقار الناس له وبعدهم عنه.

١١ـ يمقت نفسه بنفسه ويحتقرها".[١]



(١) نضرة النعيم١١/ ٥٤٣٠.

١٠- الصداقة...



اعلم يا بني ويا بنيتي أنه ليس كل من تراه، أو تصاحبه أو تجاوره، يستحق أن يكون لك صديقًا، أو يعرف معنى الصداقة، فيقدر قدرها، ويحفظ حقها.

في الرخاء يكثر الأصدقاء، وفي الشدة تجد الأوفياء.

هناك طائفة من الناس - يمكن أن تسميها المنتفعة أو الانتهازية أو الاستغلالية - تعرفك لحاجتها... متى لم تقض، أو لم تنته هو: صديق، ودود، محب.

وهو صديق المأرب، متى انقضى، انقضت معه الصداقة الزائفة. التي تشبه السراب في بريقه وتوهمه.

من تصاحب؟ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ** ". [١]

فيجب عليك أن" لا تخالط إلا عاقلًا تقيًا، ولا تجالس إلا عالمًا بصيرًا". [٢]

واعلم " أنَّ من نصحك فقد أحبك. ومن داهنك فقد غشك، ومن لم يقبل نصيحتك فليس بأخ لك.

---

(١) رواه الترمذي والدارمي وابن حبان وأبو يعلي

(٢) رسالة المسترشدين ص٥٩.

قال عمر بن الخطاب: لا خير في قوم ليسوا بناصحين، ولا خير في قوم لا يحبون النصيحة".[١]

فأصدقاء السوء من أجلى علاماتهم أنهم لا ينصحون بإخلاص، ولا يرشدون إلى خير، ولا يُبعدون عن شر. إنهم ينصحون بما يفيدهم، ويرشدون إلى ما ينفعهم.

إنهم أضر مخلوق بك، وأشدهم بأسًا عليك، وأمكر من عدوك.

يفعلون بك ذلك وهم يلبسون عباءة الصداقة البالية، وتعيش معهم في وهم المحبة عن قصد خبيث، ومكرهم محيط بك، وقلوبهم قاسية عليك.

ولذلك يقول كل حكيم خبير: احذر عدوك مرة، واحذر صديقك ألف مرة.

وقال أبو ذر: الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومُملي الخير خير من الساكت، والساكت خير من مُملي الشر".[٢]

اعلم يا بُني أنَّ صديقك محسوب عليك، ودليل عليك، ولذلك قيل: لا تسأل عن المرء واسأل عن قرينه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ "**.[٣] فإن صاحبت الأشرار، عرف الناس طبعك. وأنك مثلهم.

---

(١) المصدر السابق ص٥٩.

(٢) رواه ابن أبي شيبة.

(٣)رواه أبو داود والترمذي و أحمد والحاكم في مستدركه بلفظ " الْمَرْءُ " وأحمد بلفظ " يُخَالِطُ " بدل "يُخَالِلُ "من حديث أبي هريرة .

وكذلك إن صاحبت الأخيار. فشبيه الشيء منجذب إليه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ". (١)

فضل صحبة الصالحين..

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: "الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِمْ، قَالَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ". (٢)

لأن المحبة ـ وأحيانًا المنفعة ـ أساس كل صحبة، وكلما كانت المحبة قائمة على دين، وخلق رفيع، كانت الصحبة نافعة ودائمة، سواء في الدنيا أو الآخرة.

عَنْ أَبِي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ الشَّامِ فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ وَقَالَ إِسْحَاقُ بِالتَّهْجِيرِ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ، جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ أَللهِ، فَقُلْتُ أَللهِ، فَقَالَ أَللهِ، فَقُلْتُ أَللهِ.

فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ

(١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ.
(٢) رواه أحمد وابن حبان وأبو داود

وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ". (١)

فكل صحبة من أجل منافع دنيوية غير دائمة في الدنيا، ومنقطعة يوم القيامة، بل هي مستبدلة بعداوة وبغضاء قال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾. [الزخرف:٦٧] .

وتلك يا بني سُنَّة الله تعالى في كل ما هو قائم على أساس دنيوي.. انقطاعه، والندم عليه.

أما صحبة الأخيار الصالحين فلا انقطاع لنفعها، ولا حصر لفضلها، وستكون الحسرة يوم القيامة على اجتنابها، وعدم لزومها.

إن صحبة الأخيار يا بُني كلها خير، حتى ولو كانت لعارض أو لأي سبب من الأسباب.

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ اللهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ.

فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ .

قَالَ فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْنِي ؟ . فَيَقُولُونَ : لَا ، قَالَ : فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ .

قَالَ فَيَقُولُونَ:لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا.

قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيَّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ قَالَ: فَيَقُولُونَ يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ قَالَ: فَيَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا ؟.

---

(١) رواه مالك وأحمد والحاكم في مستدركه

قَالَ فَيَقُولُونَ: لَا ، قَالَ فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟.

قَالَ فَيَقُولُونَ :لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، قَالَ فَيَقُولُ: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالُوا :يَتَعَوَّذُونَ مِنْ النَّارِ،

قَالَ فَيَقُولُ :هَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ :لَا ، فَيَقُولُ :فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ .

فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَبًا وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا ، قَالَ فَيَقُولُ :فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ .

فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ ، فَيَقُولُ :هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ ".[١]

وفاز كلب أهل الكهف بصحبتهم، وشُرِّف بذكره في القرآن. مع أنه لا دور له في قصتهم، سوى صحبتهم.

انظر يا بُني إلى من تجالس وتصاحب، وانأى بنفسك عن كل مرذول الطباع، مذموم الأخلاق. من ساءت سيرته، وقُدح في سريرته ، لأنك إن صاحبت سيء الطباع، نالك من سوئها وقبحها، ولن تسلم من شرها.

فَعَنْ أَبَا بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ".[٢]

عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "... وَمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، إِنْ لَمْ يُصِبْكَ

---

(١) رواه الترمذي وأحمد والحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة نحوه

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى

مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِيرِ ، إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ ".(١)

من فوائد الصحبة الصالحة :

١ـ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وهذه من أعظم فوائدها.

٢ـ ترشد إلى الخير والصلاح.

٣ـ تعين الإنسان على الأفعال الحسنة.

٤ـ تعود بالنفع الكثير على من يصاحبهم ويقترب منهم.

٥ـ الابتعاد عن مواطن الشبهات والسيئات.

٦ـ تجعل الإنسان في حالة تذكر لله ومراقبة له على الدوام.

٧ـ تَذْكُرُكَ بعد موتك بالدعاء لك وتنشر محاسنك.

٨ـ التظلل بعرش الرحمن يوم القيامة.

من مضار الصحبة السيئة :

١ـ تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف.

٢ـ تبعد الإنسان عن طاعة الله تعالى ومرضاته.

٣ـ تَخَلُّقُ المصاحب لهم بأخلاقهم السيئة.

٤ـ لا تعرف الوفاء والإخلاص، والحب لله تعالى.

٥ـ انقلاب هذه الصحبة إلى عداوة وبغضاء إن لم يكن في الدنيا فهي محققة في الآخرة.

---

(١)رواه أبو داود من حديث أنس

١١ـ الصبر...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن" الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا انقطع الرأس ذهب الجسد". [١]

وأنه"خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يصح ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها.

وقال بعضهم: هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقال آخر: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقال آخر: هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقال آخر: تجرع المرارة من غير تعبس.

والشكوى إلى الخلق تنافي الصبر وتضاده، وقد سمع أحد الصالحين رجلًا يشتكي إلى أخيه فقال له: يا هذا والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك". [٢]

وهو" الثبات في القيام بالواجب، وبذل المجهود في مقاومة الصعاب، دون يأس أو هلع، وليس الصبر بمجرد الاستسلام والخنوع أمام الحوادث،، وترقب ما يسوقه القدر المجهول، فإن ذلك عجز وصغار، لا

---

(١) رسالة المسترشدين ص٥٠.

(٢)البحر الرائق ص٢٠٥.

يرضى الله بها لعباده المؤمنين". [١]

والصبر كلمة رقيقة، لكن لها وقع شديد، والكلام عن الصبر جميل، لكن طعمه مرير.

ليس بالأمر الهين أن تتجشم الصبر، أو تركب مطيته بيسر، أو تتخلق به، أو تصبح موصوفًا به.

لأنه صفة أولي العزم من الرجال، والقليل من الرجال من يطيقه ويلزمه.

فالصبر ليس إلا على مكاره النفس، وما تنفر منه.

ولذلك حُقَّ أن يؤمر به الصفوة من الخلق، وهم أنبياء الله تعالى ورسله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يونس: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل: ١٢٧].

وأمر به كل المؤمنين الصادقين في إيمانهم، وجُعل علامة على إيمانهم قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥].

---

(١) من توجيهات الإسلام ص ٢٢.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النساء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال : ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[لقمان: ١٧].

فضل الصبر...

اعلم يا بني أن الله تعالى عندما أمر عباده بالتزام الصبر ـ لأنه لا غنى عنه في الطريق إلى الله تعالى، وما يواجهه العبد من ابتلاءات، ومعوقات مثبطة، ومغريات مثنية، لا يتجاوزها ولا يهزمها إلا من تحلى بالصبر ـ بيّن الله تعالى عظيم فضله، وكبير أجره، وأنه تعالى يجازي عليه مالا يجازي على غيره.

قال الله تعالى في كتابه الكريم في غير موضع: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[هود: ١١].

وقال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[النحل: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون:١١١].

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الفرقان:٧٥].

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [القصص:٥٤].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ". (١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ : " مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللَّهُ ،وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ ".(٢)

وهو أحد الوسائل التي ينال بها العبد ما عند الله تعالى فإنما " يظفر بما عند الله عز وجل بالصبر، ولهذا أكد الله عز وجل أمر الصبر. الفقر والصبر لا يجتمعان إلا في حق المؤمن.

المحبون يبتلون فيصبرون، ويلهمون فعل الخيرات مع بلائهم، ويصبرون على ما يتجدد عليهم من عند ربهم عز وجل".(٣)

---

(١) رواه ابن ماجة من حديث أبي مالك الأشعري .
(٢) رواه أبو داود ومالك في الموطأ .
(٣) الفتح الرباني والفيض الرحماني ص١٧ .

وأنشد بعضهم في الصبر شعرًا فقال:

سأصبر حتى يعجزَ الصبرُ عن صبري ∴ وأصبرُ حتى يحكم الله في أمري
وأصبرُ حتى يعلمَ الصبرُ أنني ∴ صَبرتُ على شيءٍ أمرِّ من الصَّبرِ (١)

وقت الصبر...

اعلم يا بني أنه يجب أن تستقبل بالصبر كل مكروه أو مصيبة، ولا يجب أن يتخلف عنها، وإلا ما كان صبرًا ولا أجرًا.

عَنْ أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا فَقَالَ لَهَا: " **اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي** "، فَقَالَتْ: وَمَا تُبَالِي أَنْتَ بِمُصِيبَتِي، فَقِيلَ لَهَا هَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْهُ فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ: " **إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى أَوْ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ** ". (٢)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ ابْنَ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ** ". (٣)

وعن عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا** "، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ

(١) مفاتيح الغيب ٨/ ٤٦٣.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه ابن ماجة.

أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْت هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". (١)

أقسام الصبر...

اعلم يا بُني أن" الصبر على خمسة أقسام:

* صبر لله تعالى.
* وصبر في الله تعالى.
* وصبر مع الله تعالى.
* وصبر عن الله تعالى.
* وصبر بالله تعالى.

فالصبر لله عناء.

والصبر فيه (أي : في حق الله) بلاء.

والصبر به بقاء.

والصبر معه وفاء.

والصبر عنه جفاء ". (٢)

و" **ينقسم باعتبار الأحكام الخمسة إلى:** واجب، ومندوب، ومحظور، ومكروه، ومباح.

---

(١) رواه مسلم واللفظ له وأحمد والبيهقي

(٢)محمد بن أبي بكر بن عبد القادر شمس الدين الرازي / حدائق الحقائق / تحقيق سعيد عبد الفتاح القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ط الأولى ٢٠٠٢م ص١٠٧

فالواجب: الصبر على المحرمات، والصبر على أداء الواجبات، والصبر على المصائب.

والمندوب: الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

والمحظور: الصبر على الطعام والشراب حتى يموت، والصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار، إذا خاف بتركه الموت. ومن الصبر المحظور، صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حية أو حريق، أو كافر يريد قتله، بخلاف استسلامه وصبره في الفتنة وقتال المسلمين فإنه مباح له بل يستحب، كما دلت عليه النصوص الكثيرة.

والمكروه: صبره على المكروه، وصبره عن فعل المستحب، وكذلك الصبر على الطعام والشراب، واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بدنه.

والمباح: هو الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين، خُيِّر بين فعله وتركه والصبر عليه ". [١]

والصبر في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به: الصبر عن محارم الله، والصبر على اتباع أمر الله، والصبر عند المصائب احتسابًا لله". [٢]

---

(١) البحر الرائق ص٢٠٩ .

(٢) رسالة المسترشدين ص١٧٠ .

الصبر على أذى النّاس :

اعلم يا بُني أن السلامة من الناس أمر عزيز، ما نجا أحد من ألسنتهم، ولا حتى خالقهم، فقد قالوا فيه أقاويل باطلة، واعتقدوا فيه عقائد فاسدة، ونسبوا إليه مالا يليق بقدسيته.

فقالوا عنه كذبًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة : ٧٣] .

وقالوا كذبًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١٧] .

وقالوا كذبًا ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ [البقرة:١١٦] [يونس:٦٨]. [الكهف٤] .

ورد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ [المؤمنون:٩١] .

وبقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾ [الجن:٣] .

وظنوا سوءًا بعلمه تعالى فادعوا أن الله تعالى يعلم أشياء دون أخرى ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت:٢٢] .

وجهل هؤلاء أنّه ﴿ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام:٨٠] .

وهو اعتقاد الموحدين الصادقين الذين خاطبوه بقولهم: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر:٧] .

كما ظنوا سوءًا بقدرته فادعوا عدم قدرته سبحانه وتعالى على الإيجاد مرة أخرى ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النحل: ٣٨] .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٠] .

وجهل هؤلا أنه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠] . وأنّ الله ﴿ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] .

إذا تبين لك ذلك يا بُني فلا تغضب ولا تحزن، إذا سمعت من الناس ما يؤذيك، وارجع إلى نفسك، فإن كان ما يقولونه حقًا.. فقد حُق لك أن ترجع عنه.

وإلا فلا تلتفت إلى كلامهم، ولا تعره انتباهًا، ولا تُلقي له بالًا، فإن المرء لن يعدم حاقدًا أو حاسدًا.

وإياك أن يدفعك أذى الناس إلى مجاراتهم في الإيذاء، إنك إذًا مثلهم.

لا عليك إن جاوزته وتجاوزت عنه.

لا عليك إن لم ترد الأذى بأذى، أو الظلم بظلم، أو الافتراء بمثله.

ربما ود بعض الناس أن تفعل فعلهم، لتكون مثلهم، ليعمكم جميعًا وصف السوء، وتنال منكم جميعًا الفحشاء.

وكلما خاب ودهم فيك، زاد حقدهم عليك.

من فوائد الصبر :

١ـ ضبط النفس عن السأم والملل لدى القيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة خلال مدة مناسبة ، قد يراها المستعجل مدة طويلة.

٢ـ ضبط النفس عن العجلة والرعونة، لدى تحقيق مطلب من المطالب المادية أو المعنوية.

٣ـ ضبط النفس عن الغضب والطيش، لدى مثيرات عوامل الغضب في النفس، ومحرضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه، ولا اتزان في القول أو في العمل.

٤ـ ضبط النفس عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النفس.

٥ـ ضبط النفس عن الطمع لدى مثيرات الطمع فيها.

٦ـ ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها.

٧ـ ضبط النفس لتحمل المتاعب والمشقات والآلام الجسدية والنفسية، كلما كان في هذا التحمل خير عاجل أو آجل.

٨ ـ دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٩ـ يورث هداية القلب.

١٠ـ يثمر محبة الله ومحبة الناس.

١١ـ سبب للتمكين في الأرض.

١٢ـ الفوز بالجنة والنجاة من النار.

١٣ـ معية الله للصابرين.

١٤ـ الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

١٥ـ مظهر من مظاهر الرجولة الحقة، وعلامة على حسن الخاتمة.

١٦ـ صلاة الله ورحمته وبركاته على الصابرين". [١]

---

(١) نضرة النعيم ٦/ ٢٤٧١،٢٤٧٢

١٢ـ قوة الإرادة



اعلم يا بني ويا بنيتي أن الإرادة هي:" مطالبة القلب غذاء الروح من طيب النفس.

وقيل: الإرادة جب النفس عن مرادها، والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا.

وقيل: الإرادة جمرة من نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة". [١]

وقوة الإرادة هي: تهيؤ القلب والعقل بشدة وعزم لإحداث الفعل أو عدم إحداثه".[٢]

اعلم يا بني أنه لا يخوض غمار الحياة، ولا يحقق غاياته وطموحاته، ولا يصبر على مصاعبها إلا من قويت إرادته، وشمرعن ساعديه.

فلا يضعف أو يستسلم أمام عقباتها، وهي كثيرة يا بني.

فالضعفاء هم الذين يستسلمون للظروف، وينهارون عند أول مشكلة.

وهؤلاء لا يحققون شيئًا في حياتهم له قيمة. ولا يكون لهم أي تأثير فيمن حولهم.

ويبررون تخاذلهم وتكاسلهم، بحجج واهية، يثبطون بها هممهم،

---

(١) التعريفات ص١٦.

(٢)نضرة النعيم٨/ ٣١٩٦ .

ويُرضون بها أنفسهم، كأن يقولون: إننا نخاف أن نبذل الجهد ويضيع سُدى، فلا ينالنا إلا التعب والمشقة، ولا يعلمون أن مجرد المحاولة شرف، وأنهم قد لا يحصلون على شيء اليوم، ولكنهم غدًا يجنون ثمار الأيام السالفة، لأنه" لا بد للهمم الملتهبة أن تنال مطلوبها، ولا بد للعزائم المتوثبة أن تدرك مرغوبها، سُنة لا تتبدل، وقضية لا تتحول".(١)

فالله تعالى كما قال في كتابه:﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف٣٠] ، فكل من يعمل ويجد فحتما سيجد ثمار عمله.

إن عامة الناس يعيشون كما يعيش غيرهم، يعملون لكسب ما يطعمهم ويسقيهم ويُكسيهم، وهذا أمر لا ضرر فيه، للعوام، ولكن عندما يُقعد ضعف الإرادة، وخوار العزيمة مَن شأنه الإمساك بزمام الحياة، وإصلاح المجتمع، وإخراج الناس من ظلمات الجهل والتخلف، إلى نور العلم وعز التقدم، ومن يستحق أن تتعلق آمال الأمة عليه، فإن الفاجعة في مثل هؤلاء كبيرة.

إنها حينئذٍ فاجعة مجتمع فَقَدَ همة وإرادة من تطلع إليه في رقيه وإنمائه، وإصلاح مشاكلة، ومداواة عيوبه.

وأنا لا أحب لك أن ينفجع فيك مجتمع، لا أحب لك الضعف والاستسلام، لا أرضى لك ذلك. بل أرضى لك القوة التي تحقق بها ما تريده، وعدم الاستسلام والمثابرة التي تتجاوز بها كل عقبة، وتحطم كل مانع.

فماذا تظن يا بني؟ .

---

(١) مقامات عائض القرني ص٣٣٥ .

أتظن أن الدنيا لمن عاشها؟ .

لا .. بل لمن عمل فيها واجتهد، وأعمل عقله، وأتعب ساعديه.

إنك وكلما مرت بك الأيام ـ أطال الله عمرك ـ ستزداد يقينًا أنه لا يسعد في الدنيا ولا في الآخرة إلا من شمر عن ساعديه، وأخذ بالأسباب، فلكل غاية سبيل. فلا يغريك الوهن بالقعود عن السبيل.

فمن" لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب، ومن ترك الأمر الذي لعله أن ينال منه حاجته مخافة ما لعله يوقاه فليس ببالغ جسيمًا، وإن الرجل ذا المروءة ليكون خامل الذكر خافض المنزلة، فتأبى مرؤته إلا أن يستعلي ويرتفع، كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعًا". (١)

قال كعب بن زهير: (٢)

وليس لمن لم يركب الهول بغية ∴ وليس لرحل حطه الله حامل
إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنا ∴ أصبتَ حليمًا أو أصابك جاهل(٢)

وفي كل وقت أدلة وبراهين، تؤكد على تلك الحقائق، فانظر لمن ساد لماذا ساد ؟ ومن تقدم وارتفع لماذا تقدم وارتفع ؟ ومن تعلم وعلّم لينتفع الناس بعلمه، كيف تعلم وكيف ثابر؟

قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ وَقَالَ : " إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي " فَتَعَلَّمْتُهُ فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلَّا نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ وَأَقْرَأُ لَهُ

---

(١) العقد الفريد٣/ ١٨ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٩ .

إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ ". [١]

إنَّ طلب الدنيا والآخرة لا يخلو من متاعب جمة، وعواقب كؤد، والمطلوب منك يا بُني تجاوز الجميع بحزم وعزم لأن " الرجل كل الرجل هو الذي يستسهل المتاعب بإلفها، والذي يعلم أنه ـ ما تردد في صدره نفس ـ يجب أن يلقى الدنيا والناس بحزم وتحفظ، وبصيرة وتصَوّن.

وأن الصبر عتاده في هذا كله، فلن يزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا بهذه اليقظة وهذا الدأب". [٢]

واعلم يا بُني أن متاعب الدنيا ومصاعبها، لا تتمكن إلا من ضعاف النفوس، الخوارة قواهم، المستمتعين ببطالة العقل واليد.

أما الأقوياء أرباب الملكات النافعة على عكس هؤلاء لا يحبون ولا يستمتعون بهذه البطالة لأن "حياة الدعة والطراوة تقتل المواهب، وتطمر الملكات، والإنسان يتحرك، ويتكشف معدنه، ويغزر إنتاجه كلما أحس خطر المعارضين، أو صدمات الشدائد، كأن أسرار الحياة الكامنة فيه يستثيرها التهديد، فتتحفز للدفاع عن نفسها، فتندفع إلى الأمام ناشطة آملة.

ومعادن العظماء إنما تبرق وسط الأنواء التي تكتنفها، فكأن هذه الأنواء رياح تنفخ في ضرامها، فيتوهج، ولو ترك وحده لكان وشيك الانطفاء". [٣]

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والبيهقي .

(٢) محمد الغزالي / الجانب العاطفي من الإسلام / القاهرة نهضة مصر ط الخامسة ٢٠٠٨م ص١٩٧ .

(٣) المصدر السابق ص١٩٨ .

إن قوة الإرادة يا بُني لا تتحقق لأحد إلا إذا داوم العمل على تحقيق أهدافه التي رسمها لنفسه، ولا يسمح لها أن تزوغ منه، ولا لمشاغل الحياة أن تثنيه عنها.

قد يتأخر في تحقيق بعضها، ولكنه لا يغفل عنها أبدًا.

لابد لتحقيق الأهداف من مثابرة ومصابرة لتحقيق الرفعة والمجد، لأن" المجد لا يأتي هبة، لكنه يحصل بالمناهبة، لما تعلمت الصيدَ الكلاب، أبيح صيدها بنص الكتاب، ولما حمل الهدهد الرسالة، ذُكر في سورة النحل بالبسالة، نجت النملة بالمثابرة، وطول المصابرة.

تريد المجد ولا تجد!!

تخطب المعالي، وتنام الليالي!!

ترجو الجنة وتفرط في السنة!

قام رسولنا ـ ﷺ ـ حتى تفطرت قدماه، وربط الحجر على بطنه من الجوع، وهو العبد الأواه.

وأدميت عقباه بالحجارة، وخاض بنفسه كل غارة". [(١)]

من فوائد قوة الإرادة...

١ـ تُيسر الصعاب وبها تتخطى المشاق.

٢ـ دليل على قوة النفس وصدق العزيمة.

٣ـ تُعين على أشرف العبادات، وأشق الطاعات.

٤ـ قوة الإرادة تصنع العظائم.

---

(١) مقامات عائض القرني ص٣٣١.

٥ـ تثمر صلابة الدين، وسعادة الدنيا والآخرة.

٦ـ قوة الإرادة تساعد على النجاح في سائر الأعمال.

٧ـ قوي الإرادة يُحسن استخدام طاقاته.

٨ ـ قوة الإرادة تُبعد صاحبها عن الفوضى، وتُؤدي إلى سرعة إنجاز الأعمال.

٩ـ في الأخذ بقوة الإرادة تأسي بالنبي ـ ﷺ ـ إذ كانت حياته ـ ﷺ ـ مع أصحابه حياة جِد وحزم ونظام.

١٠ـ تُؤدي الإرادة القوية إلى المسارعة في الخيرات.

١١ـ تُؤدي قوة الإرادة بصاحبها إلى القناعة وعدم الأسى على ما يفوته.

١٢ـ قوي الإرادة يستطيع أن يكبح غضبه ويسيطر عليه.

١٣ـ تُؤدي قوة الإرادة بصاحبها إلى التحمل والصبر والمثابرة، وجعله معدودًا من أولي العزم.

١٤ـ يستطيع الإنسان بقوة إرادته أن يُعمر الكون فيصبح بذلك أهلًا للاستخلاف في الأرض، شريطة أن يستخدم هذه القوة الإرادية في طاعة الله عزوجل، ولا تنحو به في اتجاه الفساد أو سفك الدماء".[1]



(١) نضرة النعيم٨/ ٣٢٠٢ .

١٣ـ الحسد

اعلم يا بُني ويا بُنيتي أن الحسد خُلق ذميم، ووصف قبيح، يُهلك صاحبه، ويجعله عُرضة لغضب الله تعالى. ولا يوجد ما هو أذم وأقبح من أن يتمنى الإنسان زوال النعمة من يد غيره.

وتلك هي حقيقة الحسد القبيحة، وهو دأب كل كافر بربه، كاره لتفضله على عباده، قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ .

[النساء : ٥٤] .

أتريد يا بُني أن تُوصف بما يُوصف به أعداء الله تعالى.

أم أتريد أن تتخلق بأخلاقهم، لتنزل منازلهم؟.

أم أتريد أن تكون من الساخطين على عطائه؟.

أم أتريد أن يكون الكريم بخيلًا؟.

أم تُريد أن تتخلق بأخلاقه، فتُعطي وتمنع؟.

أتحب أن تكون يد ربك مغلولة؟.

أم أتحب أن يُذم خالقك؟.

أتكره أن يُشكر ربك؟.

أم تكره أن يفرح الناس بعظيم فضله؟.

أتظن أن ربك فقيرًا ؟ أم تخاف عليه من الفقر؟.

ما الذي يضرك يا بُني أن يُعطي الله تعالى ويمنح؟.

ولماذا انشغالك يا بني بما في يد غيرك؟ .

إن الله تعالى يا بُني هو الوهاب الفياض على جميع خلقه.

ما حَرَم يومًا من خَلَقه، حتى ولو عصاه، بل ولو لم يُؤمن به.

أحب يا بني عطاء الله تعالى لخلقه، وأن يدوم تفضله عليهم.

سل الله لهم البركة والدوام، فما طلبته لغيرك وجدته لنفسك.

النهي عن الحسد...

نهانا النبي - ﷺ - عن الحسد لما فيه من أضرار على الحاسد والمحسود، ولما في الحسد من قوة مدمرة تُهلك المحسود، وتستنفز قوى الحاسد. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ أَوْ قَالَ الْعُشْبَ ". [1]

وهذه الحادثة تدل على قوة الحسد المدمرة ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْن سَهْل بْن حُنَيْف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : " مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْل بْن حُنَيْف وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْم وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَة ، فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا ،قَالَ: مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ ، قَالُوا عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ ، قَالَ : يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيَغْسِلْ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ

(١)رواه أبو داود من حديث أبي هريرة .

إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ : وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ ". (١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **"لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ،وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ "**. (٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ "** (٣)

وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا "**.(٤) .

فلا يُفهم الحسد هنا بمعناه السابق بل هو هنا بمعنى الغبطة التي هي: أن يتمنى المرء مثل ما للمغبوط من النعمة من غير أن يتمنى زوالها عنه.(٥)

وهذه قصة تدل على فضل ترك الحسد...

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : **" يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ"** .

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة والبيهقي .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود .

(٥) المعجم الوجيز القاهرة طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ٢٠٠٠م ص٤٤٥

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ،فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى .

فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ : إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ،فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ ،قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ أَنَسٌ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ ؛ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ ،فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ ". (١)

---

(١) رواه أحمد .

التعوذ منه...

اعلم يا بُني أنك مأمور ليس فقط بترك الحسد، بل مأمور أيضًا بالتعوذ منه والتحصن بالله تعالى منه، فهو سبحانه وحده القادر على دفع هذه المضار المحدقة، والسهام النافذة، فقال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾. [الفلق:٥].

عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: " إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ ". (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي فَقَالَ لِي: " أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ جَاءَنِي بِهَا جِبْرَائِيلُ قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ". (٢)

من مضار الحسد...

١- إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلًا، ولا لنعمه من الناس أهلًا.

٢- حسرات النفس وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء.

٣- انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة.

---

(١) رواه أحمد و البخاري والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس.

(٢) رواه أحمد وابن ماجة.

٤ـ مقت الناس له، حتى لا يجد فيهم محبًا، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليًا، فيصير بالعداوة مأثورًا، وبالمقت مزجورًا.

٥ـ يجلب النقم ويزيل النعم.

٦ـ منبع الشرور العظيمة، ومفتاح العواقب الوخيمة.

٧ـ يورث الحقد والضغينة في القلب.

٨ ـ معول هدم في المجتمع.

٩ـ دليل على سفول الخلق، ودناءة النفس". [١]



(١) نضرة النعيم ١٠/ ٤٤٢٩ .

١٤ـ الحقد...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن الحقد هو:"الانطواء على العداوة والتربص لفرصتها ". (١)

وحقد عليه:" أمسك عداوته في قلبه، وتربص لفرصتها ".(٢)

والحقد صفة من الصفات القبيحة المسترذلة، وما تملكت من أحد، إلا أهلكته. وهي أساس كل قبيح، ومبعث كل ظلم.

فالحقد على إنسان يبعث على حسده، وكُرْه مافي يده، ومحبة زواله، والعمل على تحقيق ذلك.

وكل ذلك مقدمة لظلمه، والافتراء عليه، وإحاطته بالشائعات التي تكدر صفوه، وتُنغص حياته. وتُبَغِضه للناس، ليُنزلونه المنازل الدون.

وربما استحوذ الحقد عليه فيسعى في قتله، والتخلص منه.

وعلى الرغم من أن كلمة " الحقد " لم تُذكر في القرآن الكريم بمادتها وهيئتها الترتيبية، إلا أنه لم يترك صفة من الصفات الناتجة عنها إلا ذكرها في مواطن كثيرة منه.

مثل قوله تعالى:﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

---

(١)المعجم الوجيز ص١٦٢ .

(٢)مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي / القاموس المحيط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ١/ ٢٨٦.

مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

وقوله تعالى:﴿ وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

وقوله تعالى:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾

[النساء:٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ .

[النساء : ٨٩] .

وقوله تعالى:﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

[الأنعام: ٣٣] .

وقوله تعالى:﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل : ١٤] .

وقوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾

[الزخرف : ٣١] .

وقوله تعالى:﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الممتحنة : ٢] .

وهو سخيمة القلب التي دعا النبي ـ ﷺ ـ ربه بمعافاته منها فقال: "وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي ". [١]

و" السَخِيمَةَ والسُخِيمَةَ بالضم: الحقد". [٢]

(١) رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس .
(٢) القاموس المحيط ٤/ ١٢٦ .

وتلك السخيمة تجعل القلب موطنًا للأمراض، ومألوفًا للشيطان، ومتملكًا له. أما القلب السليم، فهو قلب عُوفي من المواطنة والألفة، ومحررًا من تلك الملكية المهينة المهلكة.

وهو القلب الذي ينفع صاحبه فيُنجيه من عذاب الله يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] .

وهو القلب الذي مدح الله تعالى به نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ (٨٣) إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) ﴾ [الصافات:٨٣-٨٤] .

والحقد يا بُني من الأسباب المانعة لرحمة الله تعالى وفضله، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : " يَطَّلِعُ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْهِلُ الْكَافِرِينَ ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ". [1]

والحقد على إنسان لا يكون إلا بعد بُغض وكراهية شديدة، وهذا هو أساسه لا الغضب كما ذكره البعض.

والمبغض" لا يحب أن يرى بمن يُبغض نعمة الله عليه من الله عز وجل، ويحب أن يراه بأسوأ حال في الدين والدنيا.

فإن نزلت به نعمة ساءته وكرهها، ولو قدر أن يزيلها عنه لأزالها، فيتمنى لمن يعاديه ويُبغضه البلايا، ويكره ما به من النعم، ويحب أن تزول

(١) الحافظ عبد العظيم بن عبدالقوي المنذري / الترغيب والترهيب/ القاهرة دار الحديث ط الأولى ١٩٩٤م ٣/ ٣٩٦ .

عنه، ويفرح بما نزل به من البلايا أو ضر".[١]

والحاقد لا يدع فرصة تفوته دون أن ينفث سمومه الدفينة في المحقود عليه، ولا يحتمل فيه كلمة حق، أو مدح، أو إنصاف.

وهو ذو خطر على كل ذي فضل ونعمة، ومن يُرجى خيره ونفعه. ويحرص الحاقد كثيرًا على أن لا تنكشف سريرته، ليظهر دومًا بثوب الناقد الناصح، الذي يقول الحق، ويهدي إلى سواء السبيل.

ولا يهدأ حقده حتى ينال من المحقود عليه نيلًا، يحط به من قدره، أو يصرف الناس عنه، أو يقلل من تقديرهم له.

وهو بهذا الحقد يكون عدوًا لله تعالى وللمجتمع، مضر به، لأنه لا يستهدف إلا أفضل أفراده وخيارهم.

من مضار الحقد...

١ـ الحقد يُفضي إلى التنازع والتقاتل، واستغراق العمر في غم وحزن.

٢ـ الحقد مرض عُضال من أمراض القلب، يُخشى معه الإيمان من هذا القلب المريض.

٣ـ الأحقاد نزغ من عمل الشيطان لا يستجيب له إلا من خفت أحلامهم، وطاشت عقولهم.

٤ـ الحقد مصدر للعديد من الرذائل مثل الحسد والافتراء والبهتان والغيبة.

٥ـ في الحقد دليل على غباء صاحبه ووضاعته . لأنه ينظر إلى الأمور نظرة قاصرة ، لا تجاوز شهواته الخاصة.

---

(١) الرعاية لحقوق الله ص٤٨٦.

٦ـ الحقد يُغضب الرب عز وجل، ويُؤدي بصاحبه إلى الخسران المبين، في الدنيا والآخرة.

٧ـ الحاقد قلق النفس دائمًا، لا يهدأ له بال طالما رأى نعمة الله يسعد بها سواه.

٨ ـ الحاقد ساقط الهمة، ضعيف النفس، واهن العزم، كليل اليد.

٩ـ الحاقد رجل مُضَلَل ضائع، مخطئ في تقديره، فهو محصور التفكير في الدنيا ومتاعها، ويتبع بالغيظ من نال منها حظًا أوفر.

١٠ـ الحاقد جاهل بربه، وبسننه في هذا الكون، لأن لله حِكَمًا قد لا تظهر في التو واللحظة، وقد يكون ما ظنه الحاقد نعمة فاتته وأدركت غيره مجرد ابتلاء واختبار، تجلب على صاحبها من العناء مالا يطيقه الحاقد الذي يتمناها.

١١ـ الحقد يُظهر عيوب الإنسان، ويكشف عن الداء الدفين فيه". [١]



(١) نضرة النعيم ١٠/ ٤٤٤٠ .

١٥ـ الحب...



اعلم يا بُني ويا بُنيتي أن الحب هو أساس هذا الدين، ودليل الإيمان، وعلامة العبودية لله تعالى لأن" خاصية التعبد: الحب مع الخضوع، والذل للمحبوب. فمن أحب شيئًا، أو خضع له فقد تعبَّد قلبه له، بل التعبُّد آخر مراتب الحب". (١)

ولذلك فإن المؤمن الحق، محب لله ولرسوله، ولعامة المسلمين، فَعَنْ أَنَس بْن مَالك رَضيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَان: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ".(٢)

ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : " رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ " .(٣)

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ ، أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي ". (٤)

---

(١) ابن القيم الجوزية / الداء والدواء / المملكة العربية السعودية دار ابن الجوزي ط الثالثة ١٤١٩هـ ،١٩٩٩م ص٢٨١ .
(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه .
(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه مسلم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ".(١)

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ ".(٢)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا ،فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَعْلَمْتَهُ ، قَالَ : لَا ، قَالَ : أَعْلِمْهُ ،قَالَ : فَلَحِقَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ ، فَقَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ ". (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟، قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ،قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ ، قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ ".(٤)

أرأيت يا بُني ما الذي يفعله الحب في العبد من رفع درجات، وتظلل تحت عرش الرحمن، ومنازل يتطلع إليها الأنبياء والشهداء بعين الغبطة والانبهار.

(١) سنن الترمذي - كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ وَالْآدَابِ .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) رواه ابو داود.
(٤) صحيح مسلم - كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ .

وأنه سبب قوي في محبة الله تعالى للمحبين. وهذه فضائل قد لا يدركها أشد الناس عبادة لله تعالى بدون هذا الحب العميق، المُطَهَّر من كل عُرض دنيء، أو مصلحة دنيوية.

واعلم يا بُني أن" الحب معنى أخص من الرضا، وأعمق أثرًا، فقد يرضى الإنسان بالشيء أو يرضي عن الشخص، ولا يُفضي ذلك إلى حبه وتعلق القلب به، فإن ذلك شأن الحب لا شأن الرضا.

الحب هو روح الوجود ، وإكسير القلوب ، وصمام الأمان لبني الإنسان". [١]

التحذير من حب الدنيا...

إياك يا بني من حب الدنيا والافتتان بها فإن" الغلو في حب الدنيا هو رأس كل خطيئة، والتنافس عليها أساس كل بلية.

من أجل متاع الدنيا يبيع الأخ أخاه ، ومن أجل متاع الدنيا يقتل الابن أباه، ومن أجلها يخون الناس الأمانات، وينكثون العهود، ومن أجلها يجحد الناس الحقوق، وينسون الواجبات، ومن أجلها يبغي الناس بعضهم على بعض، ويعيشون كسباع الغابة، أو أسماك البحار، يفترس القوي الضعيف، ويلتهم الكبير الصغير، ومن أجل شهوات الدنيا ومفاتنها، يغش التجار ويطففون، ويتجبر الرؤساء ويستكبرون، ويجور القضاة ويرتشون، ويطغى الأغنياء ويترفون، وينافق ضعفاء النفوس ويتزلفون.

---

(١) الإيمان والحياة ص١٦٧ .

من أجل الدنيا يكتم العالم ما يعلم أنه الحق، ويفتي بما يعتقد أنه الباطل". [١]

قال مالك بن دينار: "إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب، ولا نوم ولا راحة. وكذلك القلب إذا عَلَقَه حب الدنيا، لم ينجع فيه المواعظ.

وبقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هَمُّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك". [٢]

وهذا يا بني رأي الجنيد[٣] في الدنيا" قد أصّلتُ أصلًا وهو: أن الدار دار غم وهم وبلاء وفتنة، وأن العالم كله شر، ومن حُكْمِه أنْ يتلقاني ما أكره، فإن تلقاني بما أحب فهو أفضل، وإلا فالأصل الأول". [٤]

صفة الدنيا...

" قال رجل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا أمير المؤمنين، صف لنا الدنيا.

قال:" ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء؟ حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن.

---

(١) المصدر السابق ص٢٠٥.

(٢) الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي / صفة الصفوة / الإسكندرية دار ابن خلدون ٢/ ٦٣٦ .

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز. يقال له: القواريري، أصله من نهاوند، ولد ببغداد ونشأ بها كان ورده في كل يوم ثلاثمائة ألف تسبيحة، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش، ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره في زمانه".
لقب بـ "إمام الطائفتين" الصوفية والفقهاء تأثر بالحارث المحاسبي، وبخاله سري السقطي توفي ٢٩٧هـ (البداية والنهاية ٦/ ١٤٦).

(٤) البداية والنهاية ١/ ٦٤٤ .

وقيل لعامر بن عبد القيس: صف لنا الدنيا. قال: الدنيا والدة للموت، ناقضة للمبرم، مرتجعة للعطية، وكل من فيها يجري إلى ما لا يدري.

وقيل لبكر بن عبد الله المزني: صف لنا الدنيا. فقال: ما مضى فحُلم، وما بقي فأماني.

وقيل لعبد الله بن ثعلبة: صف لنا الدنيا. قال: أمسُك مذموم منك، ويومك غير محمود لك، وغدك غير مأمون عليك". [١]

وكان أول كلام سليمان بن عبد الملك حين تولى الخلافة أن بَيَّن حقيقتها ومكرها وخداعها لأهلها فقال:" الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء رفع، وما شاء وضع، ومن شاء أعطى، ومن شاء منع، إن الدنيا دار غرور، ومنزل باطلٍ، وزينة تقلّب، تُضحك باكيًا، وتُبكي ضاحكًا، وتُخيف آمنًا، وتُؤمن خائفًا، تفقر مثريها، وتثري فقيرها، ميالة، لاعبة بأهلها". [٢]

حب الله تعالى...

اعلم يا بني أن محبة العبد لله تعالى على رأس كل محبة، بل هي أساس لكل حب، بدونها تتلاشى كل عاطفة خَيِّرة. فما أحبَ أحدٌ من فُقِدت محبة الله تعالى من قلبه، لأن حب الله تعالى يُحيي القلوب، ويُغذي العواطف، ويرتقي بالمشاعر، ويسمو بالسلوك.

ما أسعد العبد إن وُجِدَتْ محبة الله تعالى في قلبه! فهي ضمان لحياة قلبه وسلامته، لأنه قلبٌ حُسِبَ على الله تعالى، ولهذا يا بُني كانت" المحبة حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق سبحانه

(١) العقد الفريد ٣/ ١١٣ .
(٢) البداية والنهاية ٥/ ٢٣٥.

يُوصف بأنه يحب العبد، والعبد يُوصف بأنه يحب الحق سبحانه".[١]

فَمَعْقَد" نسبة العبودية لله تعالى هو المحبة، فالعبودية معقودة بها، بحيث متى انحلت المحبة انحلت العبودية. والله أعلم.

وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال.

التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه. تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة".[٢]

ولكن عليك أنْ تعلم يا بني أنَّ "عاطفة الحب الإلهي إذا انقذفت في فؤاد مؤمن فإن الله هو الذي أولى هذا الشرف. وأفاء تلك النعمة، وليس أحد يملك أن يفرض على الله صداقته.

حقا إنه ـ تبارك اسمه ـ لا يضيع زلفى متودد إليه، ولكنه يمنح وده من شاء، صدقة على من اصطفى من عباده".[٣]

وإذا صحت محبة الله في قلب امرئ، فقد تبوأ قمة الكمال، وتهيأ لفضل من الله جزيل.

نعم، إن نشوء هذه العاطفة ونماءها يسبقها اصطفاء خاص، والشعور بحب الله ليس متاحًا لكل إنسان، إنه سمو يتخير الله له من يشاء".[٤]

اعلم يا بني أن الله تعالى غيور على عبده ووليه، ومن اصطفاه لرعايته، لا يقبل منه غفلة، ولا إعراضًا، وإن حدث منه شيئ من ذلك عوقب، ولو

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٣١٨.

(٢) نضرة النعيم ٨/ ٣٣٢٦.

(٣) الجانب العاطفي من الإسلام ص٢٤٨.

(٤)المصدر السابق ص٢٤٧

كان نبيًا مرسلًا " قال بعض العارفين: احذروه، فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده غيره.

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

ليس للناس في فؤادي ∴ زاد فيه هواك حتى ملاه

وقال آخر:

قد صبغ قلبي على مقدار حبهم ∴ فما لحب سواهم متسع[1]

فالمحبة" الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وأن لا يشرك بينه وبين غيره في محبته ، ويمقته لذلك، ويبعده، ولا يحظيه بقربه، ويعده كاذبًا في دعوى محبته.

وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك محبة غيره في محبته ـ مع أنه ليس أهلًا لصرف كل قوة المحبة إليه ـ فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلا له وحده، وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال". [2]

فالله تعالى لا يقبل من الذاكر له غفلة، ولو برهة من الزمن، ولا من المقبل عليه إعراضًا، ولو قيد أنملة.إنَّ له هنا عتابًا وعقابًا. وكلما قربت منزلة العبد من ربه كان العقاب على ذلك شديدًا. فهذا نبي الله يونس عليه السلام عندما ترك أهله، من نفسه بلا إذن من ربه، مغاضبًا لهم، كان بطن الحوت جزاؤه.

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٤٤٤ .
(٢) الداء والدواء ص٢٨٠ .

ويوسف عليه السلام عندما تعلق قلبه بالناجي من السجن،وقال له: ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ فكان الجزاء أن لبث ﴿ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾.

قال الجنيد:" لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله". [١]



(١) الرسالة القشيرية ص٤٣١ .

من علامات المحبين لله تعالى...

أولًا : التعلق بالله تعالى...

والانشغال به دون سواه، فالمحب كل نهمته في محبوبه، وكل نعيمه في قربه ومناجاته، يسأم من كل ما يشغله عنه أو يحاول ذلك.

الله تعالى يا بني هو جنة المحبين، الذين لا يحتملون إعراضه عنهم، أو إغضابه، والجحيم ـ كل الجحيم ـ هو البعد عنه، أو التقاعس في التقرب منه.

لا يأبهون أين كانوا، ولا على أي حال صاروا، مادموا معه، وفي حضرته. شغلتهم ألطافه وأنواره. أسعدهم بتجلياته ومرضاته. فرحين غير مصدقين، أن حفنة التراب في حضرة رب الأرباب.

إنهم في حضرته سكوت ، لا تسعفهم الكلمات، ولا يستطيعون إلا الملاحظة وذرْف الدموع.

فهم معه في شوق مذيب، بقلب منير.

فلله" در أقوام لاطفهم بأنسه فتقربوا إليه بقلب سليم، أذاقهم حلاوة مناجاته، فكل منهم بحبه يهيم، أسكن قلوبهم حبه، فليلهم بالأشواق ليل سليم، طهرها من الهوى، فحب الدنيا عنها راحل، وحب الآخرة مقيم، على كل حال لا يعرفون سواه، فأهلًا به من تنعم، وأهلًا به من نعيم".[١]

ثانيًا : كثرة ذكره...

والمداومة عليه. لا يقصدون به تكثير حسناتهم، ومغفرة سيئاتهم، بل

(١) بحر الدموع ص١٢٥ .

معبودًا أحبوه، فمن أجل ذلك ذكروه .

وكلما تمكن الحب من قلب عبد عاش في ذكر دائم، لا يرى سواه، كلما نظر في الأرض، أو شَخَصَ إلى السماء.

إن المحبين يرون آثاره في بديع صنيعه، ودقائق حكمته.

فكلما نظروا ذكروا، بل كلما ناموا أو استيقظوا، جلسوا أو قاموا، أظلهم ليل أو أشرق عليهم نهار.

في ضيق أو سعة، في حزن أو فرح، في مرض أو صحة.

فليس يعد غفلة ذكروه، بل هو كما قال بعضهم:

ساكن في القلب يعمره ∴ لست أنساه فأذكره
غاب عن سمعي وعن بصري ∴ فسويد القلب يبصره

يعجبهم من يذكره، ويحبون قربه، لأن محبوبهم واحد.

ولا يغيرون عليه تعالى ممن يذكره، لأنهم يعلمون أن " الحب على المحبين فرض، وبه قامت السماوات والأرض، ومن لم يدخل جنة الحب، لن ينال القرب. بالحب عُبِدَ الربُ، وتُرِكَ الذنبُ، وهان الخطب، واحْتُمِلَ الكربُ". [١]

فمحبة الله تعالى لعبد، لا تُنْقِص من محبته تعالى لآخر، فبساط محبته رحب فسيح، لا يضيق بمن خلق. وكيف يضيق وهو مبسوط من أجلهم، ومهيأ لهم؟ .

إنَّ ذِكْرَه تعالى يُلهب مشاعرهم، ويُحرك ساكنهم، ويُسيل دمعهم،

(١) مقامات عائض القرني ص٢٩٩.

ويجعل الكيان كله في شوق، لأن" من علامات المحب انزعاجه عند ذكر محبوبه . لو أحببت شخصًا من أهل الدنيا فسمعت باسمه لانزعج باطنك، أما سمعت أن مجنونًا أحب مخلوقًا فلما ذكر انزعج، فقال:
ودَاع دَعا إذ نَحنُ بالخيف من مني ... فَهَيَّج أحزان الفؤاد ولَم يدر
دعا بِإسـم لَيلـى غيرهـا فكأنما ... أطار بقَلبي طائِرًا كانَ في صَدري ".[1]

ثالثًا: الصبر على الشدائد...

فإن من أحب أحدًا تحمل منه كل ما يصدر عنه، وتحمل في سبيل حبه كل المصاعب والأهوال، وإلا ما صدقت محبته، وإن المسلمين الأوائل من أكثر من أحب الله تعالى، ومن أجل هذا الحب تحملوا أذى الكفار، وتركوا الأموال، وهجروا الأوطان، وأنفقوا في سبيله كل غالٍ ورخيص، من نفس وأموال، وبلغت قلوبهم الحناجر، فما وهنوا، وما تراجعوا، وما منوا بأفعالهم، بل احتقروها في جنابه، وابتغاء مرضاته.

فاستحقوا بهذا الجائزة الكبرى، والفضل الأسمى، استحقوا رضا المحبوب، وما فوق ذلك من جزاء، ولا غاية.

فَعَنْ أَنَس بْن مَالك رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " **عظَمُ الْجَزَاء مَعَ عظَم الْبَلاء، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخطَ فَلَهُ السُّخْطُ** ".[2]

قال عامر بن عبد قيس:" أحببت الله عز وجل حبًا سهل علي كل مصيبة، ورضاني كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما

(١) مواعظ ابن الجوزي .
(٢) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أنس بن مالك .

أمسيت".[١]

وزار أحدَ الصالحين رجلٌ فسأله عن سبب زيارته، فقال له: لأني أحبك، فجعل الصالح يرميه بحجارة وهو يقول: إن كنت صادقًا في محبتي فاصبر على بلائي.

واعلم يا بُني أن الشكوى، ضد الصبر وتكذبه، بل هي إساءة في حق المحبوب. سمع الفضيل بن عياض رجلًا يشكو بلاءً نزل به، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!

وقال: من شكا مصيبة نزلت به فكأنما شكا ربه.

وهي ـ أي الشكوى ـ إما أن تكون سببًا لتشفي الأعداء فيك، أو في حزن الأحباب عليك، وكلاهما غير مستحب.

كتب عقيل إلى أخيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يسأل عنه، ويستطلع خبره، فكتب إليه قائلًا:

فإن تسألني كيف أنت فإنني ∴ جليدٌ على ريب الزمان صليبُ

عزيزٌ عليَّ أن تُرى بي كآبةٌ ∴ فيفرح واشٍ أو يُساء حبيبُ

رابعًا: الزهد في الدنيا...

فمن مُلئ قلبه رغبة في الله وحبًا له لا يرغب فيمن سواه، ولو خضعت الدنيا بين يديه، وملّكته زمامها.

بل المحب يراها عائقًا بينه وبين لقاء محبوبه، فإذا كانت الدنيا سجنًا كما قال نبينا ـ ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

(١) صفة الصفوة ٢/ ٥٩٧ .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ ".[١]

لأن تكاليف الإسلام تحد المكلف عما تهواه نفسه، وتلزمه بما تكرهه نفسه وتتمنع عنه، وتكبح جماحها عن الشهوات والملذات، لأن حلالها يُحاسب عليه، وحرامها يُعذب به - ولأنها تحبسه عن محبوبه وبُغيته، وطمأنينة قلبه، وقرة عينه.

إن" النفس المتعلقة بالله المتطلعة إلى رضاه لا تستغرقها شهوات الحس، ولا تنصرف بكليتها إلى متاع الأرض القريب، إنما تتطلع دائماً إلى المثل العليا والقيم الرفيعة، وإلى الترفع عن الدنس في كل صوره وأشكاله".[٢]

وقال أبو هاشم الزاهد:" إن الله عز وجل وَسَمَ الدنيا بالوحشة، ليكون أُنْس المريدين به دونها، وليقبل المطيعون له بالإعراض عنها.

وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون، وإلى الآخرة مشتاقون".[٣]

من فوائد المحبة...

١- دلالة على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢- المحبة تغذي الأرواح والقلوب، وبها تقر العيون، بل إنها هي الحياة التي يُعد من حُرم منها من جملة الأموات.

٣- قلب صاحبها تغشاه مباركة الله ونعمه على الدوام.

٤- تظهر آثار المحبة عند الشدائد والكربات.

---

(١) رواه أحمد و مسلم والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة والحاكم في مستدركه من حديث سلمان.

(٢) ركائز الإيمان ص١٣٥.

(٣) صفة الصفوة ١/ ٣٩٢.

٥ـ من ثمار المحبة النعيم والسرور في الدنيا، الموصل إلى نعيم وسرور الآخرة.

٦ـ في حب الله تعالى حمْد المحبوب، والرضى عنه وشكره، وخوفه ورجاؤه والتنعم بذكره والسكون إليه، والأنس به، والإنفاق في سبيله.

٧ـ حب النبي ـ ﷺ ـ يوجب السعي إلى إحياء سنته، والحفاظ على دعوته.

٨ـ محبة الناس مع التودد إليهم تحقق الكمال الإنساني لمن يسعى إليه.

٩ـ وحبه ـ ﷺ ـ يستوجب حب من أحبه وما أحبه.

١٠ـ محبة الإخوان في الله من محبة الله ورسوله.

١١ـ التحاب في الله يجعل المتاحبين في الله من الذين يستظلون بظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله.

١٢ـ لا يكتمل إيمان المرء إلا إذا تحقق حبه لأخيه ما يحب لنفسه، وفي هذا ما يخلصه من داء الأنانية.

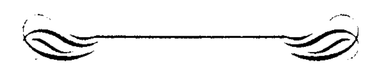
١٣ـ أن يستشعر المرء حلاوة الإيمان فيذوق طعم الرضا، وينعم بالراحة النفسية.

١٤ـ حب الله ورسوله وسيلة أكيدة لاستجلاب نصر الله وعونه". [١]



(١) نضرة النعيم ٨/ ٣٣٥٦.

١٦ـ حُسْن الخلق...



اعلم يا بُني ويا بُنيتي أن حسن الخلق ومكارم الأخلاق من أهم دعائم الإسلام ومقاصدة، ومن أهم سمات المسلم، ومن أهم دلائل إيمانه وحسن عقيدته.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكَارِمَ الأخلاقِ** ". [١]

غير أن "الدين لا يقف عند حد الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتمجيدها. إنه هو الذي يُرسي قواعدها، ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلية، ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك، ثم يُغري بالاستقامة، ويحذر من الانحراف، ويضع الأجزية مثوبة وعقوبة على كلا السلوكين نصب العين". [٢]

وعلى هذا فإن"الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يُعرف منه حُسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان بمَثل أعلى يرنو إليه، ويعمل له، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد، ويكفكف من طغيان غرائزه، وسيطرة عاداته، ويخضعها لأهدافه ومُثُله، ويُربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق". [٣]

---

(١) رواه البيهقي من حديث أبي هريرة.
(٢) الإيمان والحياة ص٢٠١.
(٣) المصدر السابق ص٢٠١.

فَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ، فَقَالَ : " الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ". (١)



(١) رواه مسلم .

فضل حُسن الخلق...

ويكفي في فضل حسن الخلق، تَخَلُّق النبي - ﷺ - به، وأنه جُبل على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وقد مدحه الله تعالى بهذه الصفة الرفيعة بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] .

وكان النبي - ﷺ -" يعود المرضى، ويشيع الجنازة، ويجيب دعوة العبد، ويركب الحمار مخطومًا بحبل من ليف، وعليه إكاف من ليف، ويعلف البعير والشاة، ويقم البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع الخادم، ويطحن معه إذا أعيا، ويحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ويبدأهما بالسلام ولا يحتقر ما دعي إليه، ولو كان خشف التمر.

وكان خفيف المؤنة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسامًا من غير ضحك، محزونًا من غير بؤس، رقيق القلب، رحيما لكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولم يمد يده لطمع". (١)

وقد وردت أحاديث كثيرة تبين مكانة الخلق الحسن في هذا الدين، وأن لا شيء يسبقه من فضائل الأفعال والأقوال، منها...

مَا وَرَدَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا** ". (٢)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " **إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ** ". (٣)

(١) حدائق الحقائق ص١٦١ .
(٢) رواه الحاكم في مستدركه .
(٣) رواه أبو داود وفي رواية أحمد" إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم".

وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ ".[١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ ، وَأَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُسْنُ الْخُلُقِ ".[٢]

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ".[٣]

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ".[٤]

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حُسْن الخلق قال: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وإذا أردت يا بُني أن تتخلق بمكارم الأخلاق ومحاسنها : " فاكتم الأوجاع، وأظهر التعفف، واستبطن الثقة، واستشعر اليأس، وحسن الفقر، واصبر على ما أصابك، وارض بما قسم الله لك، وكن من وعْدِ الله على يقين، ومن آثارك في وجل.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أبو داود

ولا تتكلفن ما قد كُفِيتَه، ولا تضعن ما وكلت بطلبه، وافتقر إلى الله في كل عطائه، وارغب في النجاة منه.

واعف عمن ظلمك، وأعط من حرمك، وصل في الله من قطعك، وآثر في الله من أحبك، وابذل نفسك ومالك لإخوانك، وارع حقوق المولى في دينك، ولا يعظمك كبير من المعروف تفعله، ولا تحقرن صغيرًا من المنكر تفعله.

واحذر التزين بالعلم، كما تحذر العجب بالعمل، ولا تعتقدن باطنًا من الأدب، ينقضه عليك ظاهر من العلم.

وأطع الله في معصية الناس، ولا تطع الناس في معصية الله تعالى، ولا تدخرن من جهدك عن الله شيئًا، ولا ترض من نفسك لله عملا".[1]

من فوائد حسن الخلق...

١ـ حسن الخلق من أفضل ما يُقرب العبد إلى الله تعالى.

٢ـ إذا أحسن العبد خلقه مع الناس أحبه الله والناس.

٣ـ حَسَن الخلق يألف الناس ويألفه الناس.

٤ـ لا يكرم العبد نفسه بمثل حسن الخلق، ولا يهينها بمثل سوئه.

٥ـ حسن الخلق سبب في رفع الدرجات وعلو الهمم.

٦ـ حسن الخلق سبب في حب رسول الله ـ ﷺ ـ والقرب منه يوم القيامة.

٧ـ حسن الخلق يدل على سماحة النفس وكرم الطبع.

٨ ـ حسن الخلق يحول العدو إلى صديق.

(١) رسالة المسترشدين ص١٣٢، ١٣٣ .

٩ـ حسن الخلق سبب لعفو الله، وجالب لغفرانه.

١٠ـ يمحو الله بحسن الخلق السيئات.

١١ـ يُدرك المرء بحسن خلقه درجة الصائم القائم .

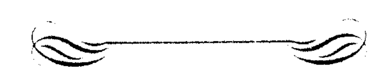
١٢ـ حسن الخلق من أكثر ما يُدخل الناس الجنة .

١٣ـ حسن الخلق يجعل صاحبه ممن ثقلت موازينه يوم القيامة.

١٤ـ حسن الخلق يُحرم جسد صاحبه على النار.

١٥ـ حسن الخلق يُصلح ما بين الإنسان وبين الناس.

١٦ـ وبالخُلُق الحسن يكثر المُصادقون ويقل المُعادون". [1]



(١) نضرة النعيم ٥/ ١٥٨٦ .

١٧ـ لا تكثر الكلام...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن" الكلام تَرجُمان يُعبر عن مستودعات الضمائر، ويُخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يُقدَر على رد شوارده.

فحقٌ على العاقل أن يحترز من زَلَلِـه بالإمساك عنه أو بالإقلال منه".[١]

وعن أبي إسحاق الفزاري قال: كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله، يطيل السكوت، فإذا تكلم ربما انبسط.. قال: فأطال يومًا السكوت، فقلت: لو تكلمت ؟ فقال: الكلام على أربعة وجوه:

فمن الكلام كلام ترجو منفعته، وتخشى عاقبته، والفضل في هذا السلامة منه.

ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فأقل مالَكَ في تركه خفة المُؤنة على بدنك ولسانك.

ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تأمن عاقبته، فهذا قد كُفي العاقل مُؤنته.

ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره".[٢].

(١)أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي/ أدب الدنيا والدين / شرح وتعليق محمد كريم راجح ١٩٨١م ٣٣٧

(٢) الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا / الصمت وحفظ اللسان / تحقيق وتعليق د .محمد أحمد عاشور القاهرة دار الاعتصام ط الثانية ١٩٨٨م ص٥٠.

و" قال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: اللسان معيار أطاشه الجهل، وأرجحه العقل.

وقال بعض الحكماء: الزم الصمت تُعد حكيماً، جاهلاً كنت أو عالماً.

وقال بعض الأدباء: سعد من لسانه صموت، وكلامه قوت.

وقال بعض العلماء: من أعوذ ما يتكلم به العاقل أن لا يتكلم إلا لحاجة أو محجته، ولا يفكر إلا في عاقبته أو في آخرته.

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويُلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مئونة الاعتذار.

وقال بعض الفصحاء: اعقل لسانك إلا عن حق توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تذكرها". [(١)]

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ ، فَقَالَ : تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ ، فَقَالَ : الْفَمُ وَالْفَرْجُ ". [(٢)]

لأن اللسان" هو أداة التعبير الأولى عن النفس، والنفس ميالة لأشياء كثيرة، واللسان أقرب الطرق للتعبير عن هذه الأشياء.

وما أكثر الأشياء التي تميل إليها النفس، ولا يصح أن تظهر على اللسان.

النفس ميالة للفخر، وميالة للسباب والخصام إذا غضبت، وميالة للمسامرة حتى في اللغو، وميالة لانتقاص الآخرين، وميالة لأن تُشعر الآخرين بفضلها.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص٣٣٧ .

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم .

كل ذلك وأمثاله كثير مما لا ينبغي أن يُعطي المسلم نفسه مداها فيه".[١]

وقيل :" اجتمع أربعُ ملوك فرموا رمية واحدة بكلمة واحدة، ملك الهند، وملك الصين ،وكسرى، وقيصر.

قال أحدهم: أنا أندم على ما قلت، ولا أندم على ما لم أقل.

وقال الآخر: إني إذا تكلمت ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم ملكتها ولم تملكني. وقال الثالث: عجبت للمتكلم، إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه. وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل، أقدر مني على رد ما قلت".[٢]

ولذلك كان" الصمت مقدمة في الضبط، فمن نجح في الصمت كان حريًا أن ينجح في الكلام المنضبط بتوفيق الله".[٣]

وعَن الْبَرَاء بْن عَازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه عَلِّمْني عَمَلًا يُدْخلُني الْجَنَّةَ فَقَالَ : " لَئنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ أَعْتق النَّسَمَةَ وَفُكَّ الرَّقَبَةَ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه أَوَلَيْسَتَا بوَاحدَة ، قَالَ لَا ،إنَّ عتْقَ النَّسَمَة أَنْ تَفَرَّدَ بعتْقهَا ،وَفَكَّ الرَّقَبَة أَنْ تُعينَ في عتْقهَا وَالْمنْحَةُ الْوَكُوفُ وَالْفَيْءُ عَلَى ذي الرَّحم الظَّالم، فَإنْ لَمْ تُطقْ ذَلكَ فَأَطْعمْ الْجَائعَ، وَاسْق الظَّمْآنَ ،وَأْمُرْ بالْمَعْرُوف، وَانْهَ عَنْ الْمُنْكَر ، فَإنْ لَمْ تُطقْ ذَلكَ فَكُفَّ لسَانَكَ إلَّا منْ الْخَيْر ".[٤]

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلمَة مَا يُلْقي

(١) سعيد حوى / تربيتنا الروحية / القاهرة دار السلام ط التاسعة ٢٠٠٧م ص١٢٥.
(٢)الصمت وحفظ اللسان ص٥٤.
(٣)تربيتنا الروحية ص١٢٥.
(٤) رواه أحمد.

لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ ". (١)

وقال الحسن بن هانئ في فضل الصمت:

خل جنبيك لرام ∴ وامض عنه بسلام

مُت بداء الصمت خير ∴ لك من داء الكلام

رُبَّ لفظ ساق آجا ∴ ل نيام وقيام

إنما السالم من أل ∴ جم فاه بلجام

وقد اتفق أهل العلم والرأي، وحكماء الدهر، على أنه من كثر كلامه كثرت هفواته وسقطاته.

حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ يَزِيدَ وَأَبِي الْأَشْهَبِ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ : " كَانَ يُقَالُ: قَلْبُ الْمُؤْمِنِ وَرَاءَ لِسَانِهِ ، فَإِذَا هَمَّ بِأَمْرٍ تَدَبَّرَهُ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا تَكَلَّمَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ سَكَتَ ، وَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ ، فَإِذَا هَمَّ بِشَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ وَأَبْدَاهُ ". (٢)

وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ". (٣)

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ ،

(١) موطأ مالك – كتاب الجامع – باب مَا يُكْرَهُ مِنْ الْكَلَامِ والغيبة والتقى .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الزهد .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجة.

وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ اللهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي ".[(١)]

فكل هذه الأحاديث والأخبار يا بُني تؤكد على ما في الكلام من خطر محدق بمن يُكثر منه، في غير محله، ودون الحاجة إليه.

للكلام فضلٌ...

ومع هذا يا بُني فاعلم أن للكلام فضل أيضًا، وفيه خير، فقد" بُعثت الأنبياء بالكلام ولم يبعثوا بالسكوت. وبالكلام وصف فضل الصمت، ولم يُوصف القول بالصمت، وبالكلام يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر، ويُعظم الله ويُسبح بحمده.

والبيان من الكلام هو الذي مَنّ الله به على عباده، فقال:﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[الرحمن : ٣-٤].

والعلم كله لا يؤديه إلى أوعية القلوب إلا اللسان، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه، ونفع الصمت خاص بفاعله".[(٢)]

وقد بين النبي ـ ﷺ ـ أن للكلام الطيب الذي يُنتفع به، ويُرجى خيره فصل، وأنه مما يُتقى به من عذاب الله تعالى، فَعَنْ عَدِيِّ بْن حَاتم رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِه ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ قَالَ: " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ".[(٣)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(١) رواه الترمذي.
(٢) العقد الفريد ص٤٠١ .
(٣) متفق عليه.

"الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ".[١]

ومما في الكلام من فضل أنه مما يُعرف به الإنسان، وما يُكنه في نفسه. ولذلك قالوا: تكلم حتى أراك

وقالوا: المرء مخبوءٌ تحت طرف لسانه.

من مضار كثرة الكلام...

١ـ تُقسي القلب، وتجعله بعيدًا عن الله تعالى.

٢ـ سبب من أسباب دخول الإنسان النار.

٣ـ كثرة الأخطاء والزلل.

٤ـ لا يأمن كثير الكلام من الخوض في أعراض الناس.

٥ـ لا يأمن كثير الكلام من الوقوع في الغيبة والنميمة.

٦ـ كثرة الكلام تُظهر أقبح ما في الإنسان من أخلاق.

٧ـ تولد الخصومة بين أفراد المجتمع.

٨ـ يؤدي إلى ظلم الآخرين.

٩ـ دليل على خفة عقل الإنسان، وقلة علمه.



---

(١) متفق عليه.



١٨ـ لا تكن أنانيا...



اعلم يا بُني ويا بُنيتي أن الأنانية هي: الأَثَرَة وحب النفس، ويقابلها الإيثار ". [١]

ومنشأ الأنانية وأساسها حب النفس حبًا زائدًا، يصل غالبًا إلى درجة الحب المطلق ، وتفضيلها عما سواها، وأنها أحق بما طلبت، وبما أحبت.

وهي تُزَكِّي في النفس صفات الغرور والكبر والعظمة، وتدعوها إلى ظلم الاخرين، فالأناني تتضخم ذاته، ويراها أحق بكل شيء، وأعلى من كل نفس.

إن أشقى الناس يا بني هو من يضطر إلى التعامل مع هذ الصنف من الناس، ومن يقع تحت رعايته وإمرته، فإن كان أبًا شقي أبناؤه به، وإن كان حاكمًا شقي شعبه من أنانيته، وتسلطه وجبروته، لا يدخر جبروتًا ولا قسوة ولا ظلمًا، ولا يتورع عن قتل شعبه، إن تجرأ أحد وأغضب نفسه، أو حاول أن ينتقص منها قدرًا، أو يقتنص منها حقًا.

وهي صفة تلحق الأمم كما تلحق الأفراد، فتجدها تعمل على استئثار خيرات الأمم الأخرى، فتحتلها وتستنزف خيراتها، وتمنعها أصحابها، وأولى الناس بها. بعقيدة استعلائية مغرورة متكبرة.

إن إبليس عليه لعنة الله هو أول من خاطب بكلمة " أنا " مجسدًا كل معانيها القبيحة، من إحساس بالاستعلاء والخيرية، قال معترضًا على ربه،

(١)المعجم الوجيز ص٢٦.

في تفضيل آدم عليه: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾. [الأعراف: ١٢] .

ولذلك كانت هذه الكلمة منبوذة في الإسلام، منقوص صاحبها، لأنه لا يرى إلا نفسه، ولا يقدم نفسًا عليها. رغباتها فوق كل رغبة، إن أرادت شيئًا فهو من حقها، ومن حقها وحدها.

حبه لنفسه يصل إلى درجة التقديس والعبادة ، وشغله الشاغل في إرضائها. ومع أن الإسلام لا يعيب على أحد حبه لنفسه ولكنه" لا يفهم حب النفس على أنه الانجراف وراء الشهوات! بل على العكس يعتبر ذلك ظلما للنفس. وإنه لكذلك في الحقيقة.

فالذي يطلق لنفسه العنان في كل ما توسوس به، يظلمها ويوردها موارد الهلاك.

إنه يفهم حب النفس على أنه النصيحة لها والتوجيه الصالح. التوجيه الذي تتحقق به سعادتها في الدنيا والآخرة".[١]

لأن حب النفس من الأمور الطبيعية، ومن الفطرة التي فطر الله المخلوقات عليها و"الإسلام لا يحارب الفطرة، ولكنه يهذبها. إنه يريد للناس أن يحبوا وأن يكرهوا.. لأن هذه فطرتهم.

ولكن الحب على إطلاقه، والكره على إطلاقه، يدمران النفس ويبددان طاقتها، ويوزعانها، ويستعبدانها فلا تملك الخلاص".[٢]

إن الإسلام يا بُني لا يعيب على أحد إن هو سعى في حاجة نفسه، ولكنه

(١)محمد قطب/ منهج التربية الإسلامية/ القاهرة دار الشروق ط السابعة عشر ٢٠٠٧م ص١٤١، ١٤٢.
(٢)المصدر السابق ص١٤١.

ينظر بعين الرضا والتقدير لكل نفس تسعى، لا من أجل نفعها وحسب، بل ومن أجل الآخرين كذلك، ولا تدخر جهدًا ينتفع الناس به، أويحقق لهم مصالحهم وأن يعينهم.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِم فِي الدُّنْيَا سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ر وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ** ".(١)

أن تعمل لتحقيق مصالحها، ولا تمنع غيرها من تحقيق الهدف ذاته، ودون أن تضر بها، تعيش حياة كريمة، وتسمح للآخرين بهذا القدر من الحياة.

فمبدأ.. أنا ومن بعدي الطوفان. لا يعرفه الإسلام، ولا يقره، ولا يحب أحدًا من أتباعه أن يأخذوا به، أويعتبرونه مبدأ تسير عليه حياتهم.

وهذا ليس مطلبًا إسلاميًا وحسب، بل هو أيضًا مطلب إنساني على وجه العموم.

لابد للإنسان من مراعة الآخرين، والاحساس بهم، وأن لا يرضى لهم مالا يرضاه على نفسه .عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه** ".(٢)

وأن لا يخص نفسه بشئ دونهم ،فَعَنْ يَزِيدَ بْنِ شُرَيْحٍ الْحَضْرَمِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ،عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " لَا يَأْتِي

(١)رواه مسلم من حديث أبي هريرة .
(٢) متفق عليه من حديث أنس.

أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ وَهُوَ حَاقِنٌ ، وَلَا يَؤُمَّنَّ أَحَدُكُمْ فَيَخُصَّ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ، فَقَدْ خَانَهُمْ " .(١)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلٍ ".(٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ ".(٣)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ".(٤)

تفهم مما سبق يا بني أنك تستطيع أن تنفع نفسك، نفعًا عظيمًا، ليس من خلال عملك لنفسك وحسب، بل ومن خلال عملك من أجل الآخرين.

أسباب تؤدي إلى الأنانية...

اعلم يا بني أن هناك أسباب تؤدي بالإنسان إلى أن يكون أنانيًا في نهاية الأمر من هذه الأسباب...

١- سوء التربية : وهو أول وأعظم أسبابها، فالطفل المدلل الذي يأخذ كل ما يريده، والذي يشعره الأب بأنه أفضل من غيره، وأنه أحسن منهم. ينمو بداخله كل يوم حبه لذاته، واقتصار همته على تلبية رغباتها. وصدق قول الشاعر:

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أبو داود.

(٤)الطبراني في الكبير والأوسط ، وأبو نُعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب .

وينشأ ناشئ الفتيان منا ∴ على ما كان عوده أبوه

وهذا الطفل الذي رُبِّيَ على حب نفسه فقط، يعود بهذه التربية على الوالدين اللذين غرساها فيه، فإذا شب وكبر والديه، أهملهما إيثارًا لنفسه على نفسيهما، وحاجته على حاجتيهما.

٢ـ أنانية المجتمع : فعندما يجد الإنسان أن كل فرد من أفراد المجتمع يسعى فقط في مصلحة نفسه على حساب الآخرين، ولا يعمل أحد لصالح أحد، ولا يسعى أحد في حاجة أحد. وأنَّ الكل مشغول بنفسه، ونفسه فقط، فلماذا هو لا يفعل مثلهم، وربما يكون في قلبه نوايا خير كثيرة، ولكنه يبخل بها ويضن.

٣ـ الفقر والحاجة : فقليل ذات اليد المحتاج، لا ينشغل بغير فقره وحاجته، ولو كان في مقدوره نفع المجتمع، لبخل عليه بقدرته.

وهي أنانية وإن كان واقعه يفرضها عليه، غير أنه لو تغيرت حالته إلى الغنى والسعة، فإنه في الغالب لن يتخلى عن أنانيته، انتقامًا منه لهذا المجتمع الذي يرى فيه أنه قد ظلمه كثيرًا.

٤ـ أصحاب النقائص : فقد يدفع الاحساس بالنقص والحرمان في أمر ما إلى الأنانية، كنوع من أنواع الانتقام جراء هذا النقص والحرمان، ومن أمثلة هذا النقص: الحرمان الناتج عن فقد الأبوين أو أحدهما، أو النقص في عضو من أعضاء الجسد، أوالفقر والحاجة كما سبق، أو الاحساس المفرط بالدونية أمام أحد، أو مجتمع.

الإيثار: علاج الأنانية:

إنك يا بُني لن تجد الإسلام يرتضي فعلًا، ويحبه من أتباعه، مثلما يرتضي الإيثار منهم ويحبه، وهو أعظم علاج للأنانية وحب النفس، والإيثار أن تفضل نفس غيرك على نفسك في عطاء أو فضل. أن تؤخر نفسك، وتقدم عليها غيرها. ليس عن اضطرار ولا مضاضة. بل عن اختيار وسعادة.

انظر يا بُني إلى إيثار الأنصار المهاجرين على أنفسهم، إذ سمحوا لهم عن حب وسعادة أن يشاركوهم الأوطان، ويساكنوهم الديار، ويقاسموهم الأموال.

بل تغلبوا على الفطرة التي فطر الله جميع خلقه عليها، حين أبدوا استعدادهم أن يقاسموهم نساءهم، بأن يطلق من له أكثر من زوجة، ليتزوجها من لا زوجة له.

وإن كان هذا لم يحدث، فإنه مما لا نظير له في تاريخ البشرية قاطبة.

ولهذا استحقوا مدح الله تعالى وثنائه عليهم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

واعلم يا بُني أنه لا إيثار فيما تتركه النفس تعففاً، أوزهدًا فيه، أو لقلة الاكتراث له، أو عدم نفعه.

بل الإيثار في إعطاء، أو ترك ما تحبه النفس وتحتاج إليه، وتود دوام امتلاكك له.

قيل إن عبد الله بن جعفر خرج إلى" ضيعة له فنزل على نخيل قوم، وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغلام بقوته، فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام، فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله، وعبدالله ينظر إليه.

فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟.

قال: ما رأيت.

قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟.

قال: ما هي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت أن أشبع وهو جائع.

قال: فما أنت صانع اليوم؟.

قال: أطوي يومي هذا.

فقال عبد الله بن جعفر: أُلام على السخاء! إن هذا الغلام لأسخى مني. فاشترى الحائط والغلام، وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه.

وقال عمر رضي الله عنه: أُهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ رأس شاة فقال: إنَّ أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه، فلم يزل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات، ورجع إلى الأول". [١]

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٧٣ .

من مضار الأنانية...

١ـ الأنانية تجعل الأناني لا يفكر ولا يحب إلا نفسه.

٢ـ الأنانية تجعل الأناني حبيس نفسه، وعبدًا لها.

٣ـ الأنانية أخطر داء يصيب الإنسان.

٤ـ الأنانية تجعل الإنسان يتعالى على الآخرين.

٥ـ الأنانية سبب من أسباب الغرور والكبر.

٦ـ الأناني يرضى لنفسه ما لا يرضاه لغيره.

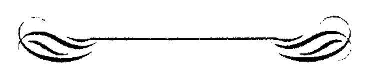
٧ـ الأناني يبغضه الناس ولا يحبون التقرب منه.

٨ـ الأناني ناقص الإيمان.

٩ـ الأناني لا يحب الخير لأحد.



١٩ـ لا تكن منافقًا...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن النفاق في أبسط تعريف له هو: أن يُظهر الإنسان خلاف ما يُبطن.

و"سئل الحسن ـ [١] ـ عن النفاق، فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج.

وقال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق ـ يعني النفاق. وحلف الحسن: ما مضى مؤمن، ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق. وفي رواية: إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن". [٢]

والنفاق داء خبيث، وسم قاتل، وخلق قبيح، لا نهاية لشره، ولا دافع لضرره، سوس ينخر في استقرار أي مجتمع يوجد فيه، يقوض أمنه، ويهدم بناءه، والمنافق في منأى عن العيون والمحاسبة.

وهو أداة شيطانية، لا تدع صالحًا إلا أفسدته، ولا حقًا إلا شوهته، ولا

(١) هو الحسن بن الحسن يكني بأبي سعيد البصري من كبار التابعين والعلماء العاملين ولد بالمدينة ٢١ه وتوفي ١١٠ه بالبصرة وكان كلامه يشبه كلام الأنبياء كما قال عنه الغزالي، وكان كثير الحزن والهم قال حمزة الأعمى: وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يومًا: إنك تكثر البكاء! فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكِ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكيًا فافعل، لعله تعالى أن يرحمك. ثم ناد الحسن: بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة حتى تعتق رقبته من النار. وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غدًا في النار ولا يبالي.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٣٥٩.

باطلًا إلا سعت في تقويته، ونصرة أتباعه.

وبقدر ما ينتشر في المجتمع يكون الفساد والهلاك، وتنتشر بسببه صفات الكذب والجبن، والخيانة، وقول الزور، ويكثر أعوان الباطل، ويقل أعوان الحق، ويتطاول السفيه على الحكيم، ويقوى المفسد على المصلح.

وهو على قسمين...

الأول : أن يبطن الإنسان الكفر ويُظهر الإسلام، وهذا منافق في عقيدته، كافر بالله تعالى.

يدخل الإسلام من باب، ويخرج منه من الباب الآخر، فهو مع المسلمين مسلم، يُقيم الشعائر، ويحافظ على تعاليمه، ويُظهر المودة لكل مسلم.

فإذا انقلب إلى أعدائه انقلب كافرًا حاقدًا، يتمنى زوال هذا الدين وأتباعه.

وهذا القسم أخطر القسمين، على الإسلام والمسلمين، إذ هو محسوب عليهما. مأمون جانبه، لا يُحْذَر منه، فيكون الضرر منه على الإسلام والمسلمين أشد من ظاهر الكفر، معروف السريرة.

وقد توعد الله تعالى هذا الصنف بأشد ألوان العذاب فقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [النساء : ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[النساء : ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[التوبة : ٦٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة : ٧٣] . [التحريم : ٩] .

الثاني: منافق في عمله، وهذا القسم لا يُخرج صاحبه من الإسلام، ولا يجوز وصفه بالنفاق الخالص إلا إذا اجتمعت فيه صفات أربع حددها النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " . (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ".(٢)

فإذا توفرت فيه بعض هذه الخصال، لا يُسمى منافقًا، وعلى أية حال فهو نفاق في العمل لا يُخرجه عن دائرة الإسلام.

من أهم صفات المنافقين...

اعلم يا بني أن للمنافقين صفات وعلامات يُعرفون بها، منها...

١ـ أنهم يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾[البقرة : ٨] .

٢ـ أنهم مخادعون قال الله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[البقرة : ٩] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[النساء:١٤٢].

٣ـ أنهم مفسدون، قال الله تعالى:" ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا

---

(١)متفق عليه من حديث : عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .
(٢)متفق عليه .

يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[البقرة : ١٢] .

٤ـ أنهم يستهزئون بالمؤمنين ويسخرون منهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[البقرة : ١٤، ١٥] .

٥ـ أنهم يتحصنون بالأيمان الكاذبة، قال الله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المنافقون : ١٢] .

٦ـ أنهم يوالون الكافرين، وينصرونهم على المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء : ١٣٨ـ١٤٠] .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

[الحشر : ١١، ١٢] .

٧ـ أنهم يعملون على تثبيط همة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا

ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب : ١٢ ـ ١٨] .

٨ ـ أنهم لا يحبون أن يتحاكموا إلى الله تعالى ورسوله، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء : ٦٠ـ٦٣] .

٩ـ أنهم لا يفقهون، قال الله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٧] .

١٠ ـ أنهم لا يعلمون، قال الله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

من مضار النفاق...

١ـ المنافق لا يقبل الله منه عملًا صالحًا.

٢ـ المنافق مريض القلب، يفرح إذا أصاب المسلمين ضُر، ويحزن إذا انتصروا، ويتربص بهم الدوائر.

٣ـ المنافقون بخلاء، ولكن ينفقون أموالهم رئاء الناس.

٤ـ المنافق ضال باعتقاده وعلمه وعمله.

٥ـ المنافقون والمراءون يتعذبون بأموالهم في الدنيا والآخرة.

٦ـ الشدائد والمحن سرعان ما تُظهر المنافق على حقيقته.

٧ـ المنافقون يلتمسون أدنى الأعذار للقعود عن الجهاد.

٨ ـ المنافقون في كل مكان وزمان إخوة للكافرين والمشركين والملحدين، يشدون أزر بعضهم.

٩ـ النفاق والرياء يوردان أصحابهما المهالك في الدنيا، وغضب الله وأليم عقابه في الآخرة.

١٠ـ وهو محبط للأعمال مهما كثرت". [١]



(١) نضرة النعيم ١١/ ٥٦٣٠.

٢٠ـ لا تكن خادعًا ولا منخدعًا...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن ثَمَّ صنف من الناس، هو أخو المنافق وشبيهه، له من الوجوه ما لا يُحصَى، يَضُر حين يُرجى نفعه، ويُضلل حين تُطلب هدايته، ويغش حين تُستوجَب نصيحته، ويكذب حين يُتوقع صدقه.

وهذا هو المخادع يا بني، فهو مَن: تغير من حال إلى حال. يقال: خَدَع فلانٌ: تخلق بغير خلقه. ويقال: هو خادع الرأي: متلون لا يثبت على رأي". (١)

والخديعة كما سبق، صفة من صفات المنافقين قال الله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾ [البقرة:٩] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء:١٤٢].

وهي صفة " مذمومة، والمذموم يجب أن يُميز عن غيره لكي لا يُفعل، وأصل هذه اللفظة الإخفاء، وسميت الخزانة المخدع، والأخدعان عرقان في العنق لأنهما خفيان. وقالوا: خدع الضب خدعًا إذا توارى في جحره فلم يظهر إلا قليلًا، وطريق خيدع وخادع، إذا كان مخالفًا للمقصد بحيث لا يفطن له، ومنه المخدع.

وأما حدها فهو إظهار ما يوهم السلامة والسداد، وإبطان ما يقتضي الإضرار بالغير والتخلص منه، فهو بمنزلة النفاق في الكفر، والرياء في الأفعال الحسنة، وكل ذلك بخلاف ما يقتضيه الدين، لأن الدين يوجب

(١) المعجم الوجيز ص١٨٧.

الاستقامة، والعدول عن الغرور والإساءة، كما يوجب المخالصة لله تعالى في العبادة، ومن هذا الجنس وصْفهم المرائي بأنه مدلس إذا أظهر خلاف مراده، ومنه أخذ التدليس في الحديث، لأن الراوي يوهم السماع ممن لم يسمع، وإذا أعلن ذلك لا يقال مدلس". [١]

وهي صفة تُردي صاحبها في جهنم ، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مَنَّانٌ** ". [٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ** ". [٣]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ، وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ** ". [٤]

والخَبُّ هو: الخداع. [٥]

والخديعة لا تجوز إلا في أوقات الحرب قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **الْحَرْبُ خَدْعَةٌ** ". [٦]

وإذا كانت الخديعة والمخادع مذمومين، فإن المنخدع مذموم كذلك، لقلة عقله، وتصديقه لكل ما يقال له، ولحسن ظنه بكل إنسان، وحمله لكل أمر على محامده، وانقياده لكل من يقول قولاً، أو يطرح رأيًا .

---

(١)مفاتيح الغيب١/ ٤٣٨.
(٢)رواه أحمد والترمذي وأبو يعلي.
(٣) رواه الترمذي وأبو داود والحاكم في مستدركه.
(٤) رواه الحاكم في مستدركه.
(٥) القاموس المحيط ١/ ٥٩.
(٦) رواه ابن ماجة والترمذي من حديث ابن عباس.

وهذا يُوقع المنخدع في حرج، ويعرضه لكل أنواع الأذى والضرر، فضلًا عن انتقاص المجتمع من مكانته وقدره.

أما من يتفكر ويتدبر في كل قول أو فعل، ويأبى أن يكون تابعًا لكل من يريد قيادته، ولا يسرف في حسن الظن بالآخرين، فهذا بعيد عن الانخداع ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لست بالخب ولا الخب يخدعني.

وهذا حال كل من كمل عقله، ومن يثق في قدراته وفكره.

من مضار الخداع...

١ـ ظلم الناس وغبنهم وأكل أموالهم بالباطل.

٢ـ انتهاك حرمات الله وحرمات الناس.

٣ـ دليل على عدم الإيمان بالله العليم.

٤ـ فيه تحطيم لدعائم المجتمع المسلم المتكامل المسالم.

٥ـ عمل من أعمال المنافقين والفسقة المجرمين.

٦ـ كبيرة من كبائر الذنوب.

٧ـ طريق موصل إلى النار.

٨ ـ سبب في فقد ثقة الناس بعضهم ببعض".[١].



(١) نضرة النعيم ١٠/ ٤٤٧٦ .

٢١ـ لا تكن مسرفًا...

اعلم يا بُني ويا بُنيتي أن الإسلام لا يحب من المسلم أن يتجاوز الحد، وأن لا يبالغ في المباح، قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[الأعراف٣١] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[الأنعام١٤١] .

ولو لم يكن في الإسراف إلا كراهية الله تعالى للمسرف لكفاه مذمة وقبحاً.

ومما عُد من مساويء فرعون قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣ ﴾

[يونس٨٣] .

وقوله تعالى: ﴿ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[الدخان٣١]

ثم إن الهلاك حالٌّ بهم لا محالة قال تعالى: ﴿ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾

[الأنبياء٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر٤٣] .

والإسراف هو:" تجاوز الحد في النفقة. وقيل: أن يأكل الرجل مالا يحل له، أو يأكل مما له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة.

وقيل: الإسراف تجاوز في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق.

وقيل:" الإسراف: صرف الشيئ فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي، بخلاف

التبذير: فإنه صرف الشيئ فيما لا ينبغي". [١]

والإسراف يكون في كل شيء في الأمور المادية، والمعنوية أيضاً، ولذلك يقال:" أسرف: جاوز الحد ويقال: أسرف في ماله وأسرف في الكلام، وأسرفْ في القتل". [٢]

مثال ذلك...

١ـ في القصاص : قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الإسراء٣٣] .

ووجه الإسراف هنا أن لا يبالغ في القتل" بتجاوز القاتل إلى ما سواه ممن لا ذنب لهم ـ كما يقع في الثأر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الآباء والأخوة والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل ـ ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل". [٣]

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[النحل١٢٦] . أي يا من" رغبتم في استيفاء القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه، فإن استيفاء الزيادة ظلم، والظلم ممنوع منه في عدل الله ورحمته". [٤]

بل إن في هذه الآية" دليل على أن الأولى له أن لا يفعل، كما أنك إذا قلت للمريض: إن كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح، كان معناه أن الأولى بك أن

---

(١) التعريفات ص٢٤.
(٢) المعجم الوسيط القاهرة مجمع اللغة العربية ط الثالثة ١/ ٤٤٣ .
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢٥.
(٤) مفاتيح الغيب ٩/ ٦٦٧ .

لا تأكله، فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض على أن الأولى تركه". [١]

وإذا عرفت سبب نزول هذه الآية تأكد لك هذا المعنى، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُد نَظَرَ إِلَى حَمْزَةَ وَقَدْ قُتِلَ وَمُثِّلَ به ، فَرَأَى مَنْظَرًا لَمْ يَرَ مَنْظَرًا قَطُّ أَوْجَعَ لِقَلْبه مِنْه وَلاَ أَوْجَلَ ، فَقَالَ : "رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، فَقَدْ كُنْتَ وَصُولا للرَّحم ، فَعُولا لِلْخَيْرَات ، وَلَوْلا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَدَعَكَ حَتَّى تَجِيءَ مِنْ أَفْوَاجٍ شَتَّى .

ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ : وَاللَّهِ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ . فَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِه لَمْ يَبْرَحْ بَعْدُ : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل١٢٦] ، حَتَّى تُخْتَمَ السُّورَةُ ، فَكَفَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمْسَكَ عَمَّا أَرَادَ " [٢]

٢ـ في المأكل والمشرب : فمن حيث تناولهما، يكون بالأكل والشراب بما يزيد عن حاجة الجسم، مما يؤدي إلى امتلاء المعدة بما لا حاجة إليه، مما يضر بالجسم على المدى القريب والبعيد، فَعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ غَلَبَتْ الآدَمِيَّ نَفْسُهُ ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ ". [٣]

كما أن دوام الشبع غير مستحب من الناحية الشرعية، وأنه نذير شؤم على صاحبه يوم القيامة، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " كُفَّ جُشَاءَكَ عَنَّا فَإِنَّ أَطْوَلَكُمْ

(١) المصدر السابق٩/ ٦٦٧ .
(٢) رواه الحاكم في مستدركه.
(٣) رواه ابن ماجة والترمذي والنسائي وابن حبان .

جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُكُمْ شِبَعًا فِي دَارِ الدُّنْيَا ". (١)

عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ سَمِعْتُ سَلْمَانَ وَأُكْرِهَ عَلَى طَعَامٍ يَأْكُلُهُ فَقَالَ : حَسْبِي أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (٢)

ومن حيث الانفاق فيهما ، وإضاعة المال عليهما، بما يزيد عن الحاجة، بادعاء أن التوسعة على الأهل مطلوبة، وأن هذا من باب التحديث بالنعمة، وإظهار لأثر نعمة الله على العبد، ويجهل المسرف أن كل ذلك يجب أن يكون بلا إسراف، وبلا مجاوزة للحد. وأن الاعتدال يُعمل به في كل شيء، حتى لا تعقبه الحسرة والندامة قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[الإسراء٢٩] .

فأهل الاعتدال هم عباد الرحمن المستحقين للمدح والثناء قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

[الفرقان٦٧] .

وَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ ". (٣)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : " كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ ".

---

(١) رواه وابن ماجة.
(٢) رواه وابن ماجة.
(٣)رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والبخاري معلقًا .

وهو مذموم في القليل، كما في الكثير، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من أنفق درهما في غير حقه فهو سرف".

وقال سفيات الثوري [1]: ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلًا.

٣ـ في الملبس والمركب: بأن يسرف الإنسان في شراء الغالي من الثياب، في حين يقوم مقامه ما هو أقل منه ثمناً، وأقرب منه جَودة.

وكذلك من يشتري سيارة بمئات الآلاف من الجنيهات، أو يزيد، في حين يقوم مقامها ما هو أقل منها سعرًا. وترْك الأغلى إلى ما هو أقل منه تواضعًا وزهدًا من الإيمان، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**أَلَا تَسْمَعُونَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنْ الْإِيمَانِ إِنَّ الْبَذَاذَةَ الْإِيمَانِ - يَعْنِي التَّقَحُّلَ -**". [2]

٤ـ في النوم والسهر: فكلاهما مخالف لسنة الله تعالى في كونه، حين جعل للراحة وقتًا، وهو الليل. وللعمل وقتًا، وهو النهار، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يونس: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ

---

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الربابي التميمي ولد بالكوفة في خلافة سليمان بن عبدالملك العام ٩٧هـ وتوفي العام ١٦١هـ بالبصرة كان عالما ثقة زاهدًا ورعًا قال شعبة: ساد سفيان الناس بالورع والعلم قيل للفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه من الورع: من إمامك في هذا؟ قال: سفيان الثوري، وكان عاملا بعلمه قال: ما بلغني عن رسول الله ـ ﷺ ـ حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

(٢) رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجة والحاكم في مستدركه.

نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الفرقان : ٤٧] ، فلا الإسراف في النوم نهارًا ينفع، ولا الإسراف في السهر ليلاُ ينفع. بل فيه الكثير من إضاعة الجهد، فالإسراف في النوم يُعَوِّد الإنسان على الكسل، ويُضَيِّع عليه فرص العمل والتقدم، ويحرم المجتمع من جهوده.

والإسراف في السهر يجعل الإنسان يستيقظ مرهقاُ لقلة ساعات نومه، مما يفقده التركيز في عمله، ويُفقده جزءًا كبيرًا من طاقته وتركيزه.

٥ـ في الانفعالات : كالفرح والحزن، فالإسراف في الفرح والضحك خطر على قلب المؤمن، الذي من شأنه الخشوع لله تعالى، والوجل منه، قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

[المؤمنون:٦٠] .

وكثرة الضحك يا بني سبب لإماتة القلب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ ". [١]

وهي علامة الأمن والطمأنينة، وعاقبة ذلك وخيمة، قال تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[التوبة: ٨٢] .

كما أن الإسراف في الحزن خطر على صحة الإنسان، أجمع على ذلك كل طبيب وحكيم" فالحزن والقلق يؤديان إلى المرض وتلف الجسم والموت السريع..والحزن أيضًا يسبب قرحة المعدة.

يقول الدكتور جوزيف مونتاغيو:"أنت لاتصاب بالقرحة بسبب ماتتناول من طعام بل بسبب مايأكلك. ويقصد بها يأكلك الحزن والقلق.

---

(١)رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

وطبقًا لمجلة " لايف " تأتي القرحة في الدرجة العاشرة من الأمراض الفتاكة التي تودي بحياة العديد من الأشخاص.

وإليك بعض آثار الحزن والقلق على جسم الإنسان :

* أمراض القلب.

* رفع ضغط الدم.

* الروماتيزم.

* قرحة المعدة.

* الإصابة بالبرد.

* تلف الغدة الدرقية.

* مرض السكري.

* التهاب المفاصل.

* التأثير على توزيع الكالسيوم في الجسم وبالتالي تلف الأسنان.

* الانهيار العصبي.

* أما الخطر الكبير للحزن والقلق هو الانتحار". [(١)]

٦ـ في العبادات : فَعَنْ مُحَمَّد بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ،فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى ". [(٢)]

---

(١)مقال من موقع منتديات نجوم مصرية .

(٢) رواه البيهقي.

وَأَنَسُ بْنُ مَالك رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فيه برِفْق ".[١]

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَميِّ قَالَ : خَرَجْتُ يَوْمًا أَمْشِي فَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مُتَوَجِّهًا فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً، فَجَعَلْتُ أَخْنَسُ عَنْهُ وَأُعَارِضُهُ ، فَرَآنِي فَأَشَارَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُل يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ،فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ : " أَتُرَاهُ مُرَائِيًا ،فَقُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَأَرْسَلَ يَدِي ثُمَّ طَبَّقَ بَيْنَ كَفَّيْه فَجَمَعَهُمَا وَجَعَلَ يَرْفَعُهُمَا بحِيَال مَنْكِبَيْه وَيَضَعُهُمَا وَيَقُولُ : عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا ثَلاثَ مَرَّات ، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبْهُ ".[٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ ".[٣]

من مضار الإسراف...

١ـ يجلب غضب الرب لأنه ينافي كمال الإيمان.

٢ـ التشبه بالشيطان في الإفساد.

٣ـ إضاعة المال والفقر في المآل.

٤ـ الندم والحسرة على ما ضاع من غير فائدة.

٥ـ يطبع المجتمع بطابع الانحلال والبعد عن الجد و الاجتهاد.

---

(١)رواه أحمد .

(٢)رواه أحمد اللفظ له والبيهقي والحاكم.

(٣)رواه النسائي والبيهقي وابن حبان .

٦ـ يدع المجتمع عالة على غيره، عاجزًا عن القيام بمهامه". [١]

من مضار التبذير...

١ـ فيه طاعة للشيطان، ومعصية للرحمن.

٢ـ يباعد من الجنة ويقرب من النار.

٣ـ المبذر أخ للشيطان.

٤ـ في التبذير رجوع إلى الجاهلية.

٥ـ في التبذير اتلاف للمال وتضييع له.

٦ـ التبذير عند الموت لا يُعد من الصدقة المقبولة، وهو مردود على صاحبه.

٧ـ التبذير يُؤدي للفقر ويحتاج صاحبه فيما بعد إلى الذل للخلق.

٨ ـ المبذر معرض للعين والحسد والحقد عليه.

٩ـ في التبذير اتباع للهوى وبعد عن الحق.

١٠ـ التبذير يُشعر الإنسان بالمرارة، خاصة إذا اقترب الأجل". [٢]



(١) نضرة النعيم٩/ ٣٨٩٥

(٢) نضرة النعيم٩/ ٤١١٩.

٢٢ـ لا تكن جاهلاً...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن الجهل هو:" اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه ".[١] وهو أساس كل ضعف وتردي ، وهو ضد العلم وقرين التخلف والتخبط، ومدعاة لكل نقيصة وخطيئة.

وصاحبه صاحب عمى، يُبصر ولا يَحترز، ويَسمع ولا يفهم، هو الكبير الصغير.

قال الشاعر:

فـإن كبير القوم لا علم عنده .·. صغير إذا التفت إليه المحافل

وهو في الشدائد والمهات، متفرق جمعه. لا يُفيد منطقه، ولا يَفصل رأيه.

لا يميز الصالح من الفاسد، ولا النفيس من الرديء.

يصاحب من يخدعه، ويعادي من ينصحه. يجهل دائماً على ذوي الفضل. لأنه ليس له علم يهديه، ولا عقل يرشده.

يغريه جهله دائماً فيعتقد في ذاته شرفًا لا يُطَاول، وأنه فوق كل الناس.

لا يسلم منه أحد، وهو على هلاك نفسه قائم.

ولهذه النقائص والمذام يا بني لم يُذْكَر الجهل في القرآن الكريم إلا في

---

(١) التعريفات ص٨٠.

معرض الذم له والنهي عنه، والتعوذ منه، والتخويف منه.

قال الله تعالى حاكيًا عن موسى: ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة : ٦٧] .

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥] .

وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف١٩٩] .

وقال تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[هود : ٤٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف: ٣٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان: ٦٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[القصص: ٥٥] .

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤] .

من هذه الآيات يتضح لك يا بُني أمران:

الأول: أن صفة الجهل قبيحة، لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى على كثير من خلقه أن يوصف بها، ولهذا تَعَوَّذَ منها كل عاقل وصالح.

وهي صفة تقلل الفارق بين الإنسان وبقية ما دونه من المخلوقات.

الثاني: الأمر بالبعد عن الجاهلين، والإعراض عنهم، لما في ذلك من الخير والنفع، لأنه لا خير أو نفع يُرجى من جاهل، فهم الأموات بين الأحياء.

قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ∴ فأجسامهم قبل القبور قبور
وأنَّ امرأ لم يحي بالعلم ميت ∴ فليس له حتى النشور نشور

أقسام الجهل:

اعلم يا بني أن الجهل ينقسم إلى: بسيط ومركب

أولًا: الجهل البسيط، وهو أن يجهل الإنسان ويعلم بجهله، فعلمه بجهله جعل هذا الجهل يُرجى زواله، فهو على دراية بحقيقته، ولذلك قالوا: لا أدري نصف العلم.

وقيل:" هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالمًا". [١]

ثانيًا: الجهل المركب، وهو أن يجهل الإنسان ويجهل بأنه جاهل، فهو جاهل بالواقع وجاهل بحقيقة نفسه، فهو" عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع".[٢] وهو أخطر القسمين، إذ لا يُرجى زوال هذا الجهل، وكيف يُزيل الجاهل شيئًا لا يراه موجودًا ؟ .

وصاحب هذا الجهل في تيه وغرور، لا يسهل إقناعه بحقيقته، ولا يتعافى منه إلا من رحم ربي.

وهو في الغالب يدعي ـ ما هو ضد حقيقة أمره وهو ـ العلم، فتجده لا يرى إلا رأيه، ولا يسمع إلا صوته، ولا يحق إلا قوله.

(١) التعريفات ص٨٠ .
(٢) المصدر السابق ص٨٠ .

يرى نفسه أنها على حق ونور، في حين أنها في ضلالة وظلمة.

وهذا الصنف من الجهل يا بني يكثر في بلاد الإسلام. يكثر من يدعي العلم وهو جاهل، ومن يدعي أنه على حق وهو على باطل، ومن يدعي الإصلاح وهو مفسد، ومن يدعي الصواب وهو على خطأ.

بل يدعي أنه هو فقط الذي على صواب وغيره على خطأ.

غرته قشور المعرفة، وما تفضل عليه العلم من فتاته، فذهب يقارع الراسخين في العلم. في غير أدب ولا ملاطفة. فتراه مره يسفه رأيًا، ويخطئ آخر، ويناقش ويعارض، بقول ركيك، ورأي سقيم، ودليل ضعيف.

ولو كان تام الجهل لكان خيرًا له وأقوم، ولكان صدره لتلقي العلم أرحب.

ولقد ضرب الله تعالى أمثلة تشبه هؤلاء بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة ١١ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

وتعجز دائمًا النصيحة والإرشاد والتصويب عن أن تفيقه من أوهام الجهل، وإدعاء العلم.

من صور الجهل ...

اعلم يا بني أن الجهل إما أن يكون بأمور الدين، أو بأمور الدنيا...

الجهل بأمور الدين:

وهو أخطر صور الجهل على الإطلاق، لأنه قد يورد العبد المهالك، ويعرضه لغضب الله وسخطه، وهو في غفلة، وجهل لمصيره.

ويكون على عدة صُوَر...

١ـ الصورة الأولى: الجهل بالله تعالى، فعدم معرفة العبد بصفات الله المعبود، تجعله يظن به ويُلحق به صفات لا تجوز في حقه، فيردى بهذا الظن السيئ. فمن يجهل بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء في أرجاء ملكه، يظن أن الله تعالى يعلم أشياء دون أخرى، أو يعلم الكليات دون الجزئيات، وقد حكى الله تعالى عن هؤلاء الجهال، وبيَّن أن جهلهم هو الذي أوردهم المهالك قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[فصلت : ٢٢، ٢٣] .

فالجهل بأسمائه تعالى وصفاته من أقبح صور الجهل وأخطرها على عقيدة العبد.

٢ـ الصورة الثانية: الجهل بحق الله تعالى على العباد، وهو إخلاص العبادة له دون سواه، لأنه لا يستحق أحد أن يُعبد معه أو دونه.

فالجهل بهذا الحق يجعل العبد عُرضة للإشراك بالله تعالى. وقد جهله قوم موسى، فضلوا ضلالًا مبينًا، قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] .

وقال تعالى عن آخرين: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣] .

فهؤلاء علموا أن الله مستحق للعبادة، لكنهم جهلوا أنه مستحق للعبادة وحده دون سواه.

٣- الصورة الثالثة: الجهل بحق النبي - ﷺ - على كل من آمن به وبرسالته، وهو لا يقل خطورة على عقيدة المسلم عن الصورة السابقة، لأن حق النبي - ﷺ - مقدم - بعد حق الله تعالى - على حق النفس وحق الوالدين، وعلى كل ذي حق، ولا يكمل إيمان مسلم إلا بعد أن يعرف ذلك الحق، ويعمل به. وأن يُنزل النبيَ - ﷺ - من نفسه منزلة لا تقارنها أي منزلة لمخلوق، وأن تكون نفسه فداءً لنفسه، وقائمة على ما جاء به من شرع.

وقد بين النبي - ﷺ - هذا الحق بقوله : " **فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ** ". (١)

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ". (٢)

وَعَنْ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "

---

(١)رواه البخاري من حديث أبي هريرة .
(٢)رواه البخاري ومسلم وأحمد .

مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَنَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". [١]

٤ـ الصورة الرابعة: الجهل بتكاليف الشرع، ويترتب على هذا الجهل أمور منها...

أ ـ ارتكاب مخالفات شرعية وهو لا يدري، فمن يجهل النهي لا يتوقاه، ومن يجهل الأمر لا يلتزمه، وهو غير معذور في هذا الجهل، لوجود من يمكن أن يسأله عن أحكام الشرع، من علماء وفقهاء، وهم حجة على كل مقصر في السؤال والتعلم.

ب ـ إحداث البدع، والبدعة هي:" الفعلة المخالفة للسنة، سميت البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام.

وهي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي". [٢]

وخطورة البدعة أن "المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع، لأن الشارع وضع الشرائع، وألزم الخلق الجري على سننها". [٣]

ج ـ نشر الخرافات والخزعبلات، وتصديق كل ما يقال، والتبعية المطلقة لكل داعية، سواء أكان داعية حق، أم داعية ضلالة.

د ـ الانخداع باسم الدين، فالجاهل أكثر الناس قابلية للانخداع باسم

---

(١) رواه ابن أبي شيبة من حديث جعفر عن أبيه وروى نحوه ابن ماجة من حديث ابن عباس والبيهقي من حديث أبي هريرة .

(٢) التعريفات ص٤٣.

(٣) أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي/ الاعتصام/ القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م ١/ ٤٩ .

الدين، فتُراه يَقتل البريء والذمي، وينشر الرعب في قلوب الآمنين، باسم الجهاد في سبيل الله، ولو كان ذا علم، لعلم أن القتال في الإسلام لا يجب على المسلم إلا ضد من يحمل السلاح عليه، فيكون في حالة حرب معه.

قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الممتحنة: ٨، ٩].

وأن الذمي له حق على المسلمين، مادام ملتزمًا بما عليه من واجبات نحو المجتمع الإسلامي، فيحرم إيذاؤه أو قتله.

عَنْ عَبْد اللهِ بْن عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا". (١)

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ". (٢)

من مضار الجهل...

١ـ يورد المهالك ويجلب المصائب.

٢ـ يفسد ولا يصلح، ويخرب ولا يعمر.

٣ـ يضع رفيع النسب، ويذل عزيز القوم.

---

(١) رواه البيهقي.
(٢) رواه أبو داود في كتاب الجهاد. باب في الوفاء للمعاهد وحرمة دمته.

٤ـ المعصية أثر من آثاره، وثمرة من ثماره.

٥ـ شر أنواعه ما كان صاحبه لا يعلم بجهله، وشر منه من كان يظن أنه على ما فيه عالم.

٦ـ مرض وبيل، وداء وخيم، وشفاؤه السؤال والتعلم". [١]



(١) نضرة النعيم٩/ ٤٣٨٩.



٢٣ـ كن عبدًا تقيًا

اعلم يا بني ويا بنيتي أن معنى التقوى" في الطاعة يراد به الإخلاص، وفي المعصية يراد به الترك والحذر.

وقيل: أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى.

وقيل: محافظة آداب الشريعة. وقيل: مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى.

وقيل: ترك حظوظ النفس، ومباينة النهي. وقيل: أن لا ترى في نفسك شيئًا سوى الله. وقيل: أن لا ترى نفسك خيرًا من أحد.

وقيل: ترك ما دون الله. والمتبع عندهم هو: الذي اتقى متابعة الهوى.

وقيل: الاقتداء بالنبي عليه السلام قولًا وفعلًا ". [١]

وقال علي بن أبي طالب: التقوى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وعَنْ عَمْرو بْن مُرَّةَ، عَن الرَّبِيع بْن خُثَيْم فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى". [٢]

وقال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

إن تقوى الله يا بني هي حصن المسلم من عذاب الله تعالى وغضبه، وهي الملجأ الذي يلجأ إليه العبد في حاجاته وضروريات حياته، وهي

(١) التعريفات ص٦٥.

(٢) رواه الحاكم وابن مردويه.

المخرج له من كل هم وضيق.

وهي سبب لمعية الله تعالى﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:١٩٤ - والتوبة:١٢٣] .

وهي سبب لمحبة الله تعالى للعبد﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران:٧٦ - التوبة : ٤، ٧] .

وهي سبب لولاية الله تعالى لعبده ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الأنفال٣٤] ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

[الجاثية:١٩] .

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يونس : ٦٢، ٦٣] .

وهي سبب لقبول الأعمال﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة:٢٧] .

وهي سبب لجلب الرزق ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق :٢، ٣] .

وهي من أسباب التيسير ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾

[الطلاق٤]

وهي من أهم الأسباب التي تدخل العبد جنات النعيم ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[الحجر:٤٥ - الذاريات: ١٥] .

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[النحل:٣١] .

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سُئلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَر مَا يُدْخلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: "**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ الْفَمُ وَالْفَرْجُ**".(١)

واعلم يا بني أن التقوى ليست ـ كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ـ: "بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط بين ذلك. ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير". وهي حصن المسلم الذي يقيه فتنة الحياة، وشرور العباد، ومطامع النفس، وضعفها أمام ما يهلكها.

وهي حصن من وساوس الشيطان ومكائده، التي لا يفطن إليها، ولا يتصدى لها إلا كل تقي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وهي خير زاد العبد في طريقه إلى رب العالمين، حيث تبلغه مأمنه ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

[البقرة: ١٩٧].

واعلم يا بُني أنَّ من علامة تقوى العبد وصلاحه، وحياة قلبه أنه لا ينظر من عمله إلا إلى السيئ، ولا يرى في نفسه في أداء ما عليها إلا مقصرة.

لا تغره أعماله الصالحة، ولا يأمن عليها من الإضلال، وعدم القبول.

فهو بين ذنب يخاف أن لا يغفر، وحسنة يخاف أن لا تُقبل. وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠].

---

(١) رواه الترمذي.

أما غيره فإن أحسنٍ يومًا عَدَّ نفسه من عباده الصالحين المخلَصين، ويرى نفسه أفضل حالاً من غيرها. وخطورة هذا أنه لا يلتفت إلى عيب نفسه فيصلحه، ولا إعوجاجها فيُقومه.

من فوائد التقوى...

١ـ معية الله تعالى للمتقين.

٢ـ البشرى بالتكريم للمتقين.

٣ـ تكفير الذنوب وتعظيم الأجر.

٤ـ الوعد بالمغفرة وزوال الخوف من النفوس.

٥ـ اليسر والسهولة في الأمر.

٦ـ في التقوى تكفير للذنوب وتعظيم للأجر من الله سبحانه وتعالى.

٧ـ العون والنصرة من الله للمتقين.

٨ ـ الأمن من البلية ونيل الوصال والقربة.

٩ـ عز الفوقية على سائر الخلق.

١٠ـ الخروج من الهمِّ والمحنة والوعد بالرزق الواسع.

١١ـ النجاة من العذاب والعقوبة.

١٢ـ الفوز بالجنة.

١٣ـ التوفيق والشهادة لهم بالصدق.

١٤ـ محبة الله للمتقين". [١]

---

(١)نضرة النعيم٤/ ١١٢٠ .

٢٤ـ كن من أهل العفو والصفح



اعلم يا بني ويا بنيتي أنه لا يعفو عن الناس ولا يصفح عنهم، إلا من أراد الله تعالى به خيرًا في الدنيا والآخرة.

ولا يعفو ولا يصفح إلا الأقوياء، الواثقين في الله تعالى، والواثقين في أنفسهم.

لا يعفو ولا يصفح إلا من ابتغى عفو الله تعالى وصفحه.

لا يعفو ولا يصفح إلا من طهر قلبه من الأحقاد والضغائن، وكُرْهِ الناس.

لا يعفو ولا يصفح إلا من انشغل بربه وعبادته، عن الانتقام والانتصار لنفسه.

إنَّ العفو والصفح تحقيق لأمر الله تعالى، وانتصار على النفس، لا انتصار لها.

إنَّ العفو والصفح تأس بالنبي ـ ﷺ ـ الذي ملأ حياته بهما.

إنَّ العفو والصفح دأب الصالحين، الذين يتجاوزون بهما كل عقبة قد تؤخرهم عن الله تعالى.

الأمر بالعفو والصفح...

وقد أمر الله تعالى نبيه بالتزام العفو والصفح، وجَعْلها سلوكًا ومنهجًا لا يحيد عنهما أبدًا ، فقال تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر: ٨٥] .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِه ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ قَالَ: أُمِرَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ ". [١]

وقال تعالى: ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٩] .

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢] .

وقد بيَّن النبي - ﷺ - فضل العفو، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ ". [٢]

الفرق بين العفو والصفح...

اعلم يا بني أنَّ هناك من لا يفرق بين العفو والصفح، فتكون كل كلمة مرادفة للأخرى، وهناك من يجعل فارقًا بينهما، قال الشيخ صالح العثيمين في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٩] :

" الصواب أن بين "العفو" و"الصفح" فرقًا فـ "العفو" ترك المؤاخذة على الذنب، و"الصفح" الإعراض عنه، مأخوذ من صفحة العنق، وهو أن الإنسان يلتفت، ولا كأن شيئًا صار يوليه صفحة عنقه. فـ "الصفح" معناه الإعراض عن هذا بالكلية، وكأنه لم يكن، فعلى هذا يكون بينهما

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه مسلم .

فرق. فـ "الصفح" أكمل إذا اقترن بـ "العفو" فالعفو لا تؤاخذه بذنبه، ولكن لا حرج إن بقي في نفسك شيئ أو تذكر له، والصفح تُعرض عن هذا إطلاقًا، ولا كأن شيئًا جرى. فلهذا الصفح أكمل وأكمل إذا اقترن بالعفو".

وقال البيضاوي في تفسير هذه الآية:" العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك تثريبه". [١]

وهذا يا بني أنصح بأن" إذا سمعت كلمة تغضبك في عرضك فاعف واصفح، فإن ذلك من عزم الأمور.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه". [٢]

وقد حضر عند المنصور" مبارك بن فضالة، وقد أمر برجل أن يُضرب عنقه، وأحضر النطع والسيف، فقال له مبارك: سمعت الحسين يقول: قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، قَالُوا. وَمَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللهِ؟ قَالَ: الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا، فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

ثم أخذ يعدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وما صنعه.

وقال الأصمعي: أُتِيَ المنصورُ برجل ليعاقبه فقال: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل، والعفو فضل، ونعوذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، وأدنى القسمين، دون أرفع الدرجتين. قال: فعفا

(١) القاضي ناصر الدين البيضاوي / تفسير البيضاوي / القاهرة المطبعة العثمانية ١٣٥٨هـ ١/ ٢٣.

(٢) رسالة المسترشدين ص٥٠.

عنه".[١]

من فوائد العفو والصفح...

أولًا: من فوائد العفو...

١ـ العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.

٢ـ كلاهما دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣ـ كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن الظن.

٤ـ كلاهما يثمر محبة الله عز وجل ثم محبة الناس.

٥ـ العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلل.

٦ـ الغفران دليل على كمال النفس وشرفها.

٧ـ كل من العفو والغفران يهيئ المجتمع والنشئ الصالح لحياة أفضل.

٨ ـ كلاهما طريق نوره هداية لغير المسلمين".[٢]

ثانيًا: من فوائد الصفح...

١ـ الصفح أعمق من العفو، إذ يزيل الله به أثر الضغائن.

٢ـ أمر الله المؤمنين بالصفح حتى عن ألد الأعداء، كي يذوقوا حلاوة الإيمان فيدخلوا فيه.

٣ـ الصفح من مستلزمات الإحسان، والإحسان أعلى درجات الإيمان.

٤ـ الصفح يقوي رابطة التآخي بين أفراد المجتمع، ويجعلهم متحابين متحدين.

---

(١) البداية والنهاية ٥/ ٦٢١.

(٢)نضرة االنعيم٧/ ٢٩١٠.

٥ـ الأمة التي يتحلى معظم أفرادها بالصفح، تكون أمة سعيدة في الدنيا والآخرة.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء". [١]



(١) نضرة النعيم٦/ ٢٥٣٥.

٢٥- كن من أهل المعروف...



اعلم يا بني ويا بنيتي أن " المعروف ضد المنكر ".(١)

وعلى هذا يا بني يشمل المعروف كل أوجه الخير، ومكارم الأخلاق، وكل ما أمر به الرحمن.

وأهل المعروف هم: من التزموا بفعل كل ما أمروا به، حتى عُرفوا به، وعُرف بهم .

وهم لا ينتظرون من الخلق مقابل أفعالهم، فهم لا ينتظرون مقابل الخير خيرًا، ولا مقابل الحسنة حسنة، ولا حتى ذكر أفعالهم، وإلا أشبهوا التجار.

وأهل المعروف يا بني هم محل عناية الله تعالى، وهم أحبابه، وأولياؤه، الذين لاخوف عليهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة. فهم محل أمانه، وتفضل رضوانه.

لا يفزعون حين يفزع الناس، ولا يحزنون حين يحزن الناس.

بل هم أمان لمن يفزع إليهم، يعطون من يسألهم، ويجيبون من يدعوهم، ويعرفون لأهل الفضل حقهم. وكأنهم هم المعنيون بقوله - ﷺ - : " **مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَمَنْ صَنَعَ**

---

(١) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري/ لسان العرب/ بيروت دار الفكر ط الأولى١٩٩٠م ٩/ ٢٣٩و والقاموس المحيط ٣/ ١٦٨ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي/ مختار الصحاح/ القاهرة مؤسسة المختار ط الأولى٢٠٠٧م ص٢٥١.

إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ ". [١]

وقد دعا النبي - ﷺ - لكل من فعل معه خيرًا وعرف له قدرًا، مع أن النبي - ﷺ - هو صاحب المنة على كل موحد، ولا يجب عليه تجاه أحد شيئًا، بل هو الموجب عليهم تقديره ومحبته وطاعته وتوقيره.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ : " مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ". [٢]

وفي رواية أخرى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا مِنْ اللَّيْلِ قَالَ فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَضَعَ لَكَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ ". [٣]

وفي غزوة أُحد وعندما كان سعد بن أبي وقاص يرمي سهامه مدافعًا عن النبي - ﷺ - : " اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ " . [٤]

ودعا لأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي خَدَمَهُ عَشَرَ سِنِيْن قَائِلاً : "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ ". [٥]

اعلم يا بني أن أهل المعروف، هم قوم رقت قلوبهم لله تعالى ولعباده،

---

(١) رواه ابو داود والنسائي من حديث ابن عمر.
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه أحمد والحاكم في مستدركه وابن حبان.
(٤) رواه الحاكم في مستدركه.
(٥) رواه أحمد والبيهقي وابن حبان من حديث أنس.

يحنون على الضعفاء، ويواسون أهل البلاء، ويدخلون البسمة على التعساء.

وأهل المعروف هم أهل العافية والنجاة من مصيبات الدهر، وإنهم مذكورن معروفون به يوم القيامة أيضًا.

فَعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **صَنَائِعُ الْمَعْرُوف تَقِي مَصَارِعُ السُّوءِ وَالآفَات وَالْهَلَكَات، وَإِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ** ".[1]

وكذلك يا بني من عُرف بالمنكر في الدنيا، فإنه موسوم به يوم القيامة فَعَنْ سَعِيد بْنِ الْمُسَيِّبِ[2] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ... وَإِنَّ أَهْلَ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الآخِرَةِ " ".[3]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صنوان متلازمان...

اعلم يا بني أن الله تعالى لم يذكر الأمر بالمعروف إلا وذكر معه النهي عن المنكر وكأن الآمر بالمعروف، والفاعل له، يجب عليه أن يكون ممن ينكر المنكر وينهى عنه، فضلا عن اجتنابه، قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، وصححه الألباني.

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، ولد العام ١٤هـ وتوفي العام ٩٤هـ كنيته أبو محمد، يعد سيد فقهاء المدينة والتابعين، روى عن كثير من الصحابة وبعض أمهات المؤمنين، كان شديدًا في دين الله، لا يهاب أحدًا، رفض أن يزوج ابنته لابن عبد الملك بن مروان والي المدينة في ذلك الوقت، وزوجها لرجل فقير، ذو صلاح، وكان أحرص الناس على صلاة الجماعة.

(٣) رواه البيهقي

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران : ١١٠] .

وقال تعالى:﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[آل عمران ١١٤ - والتوبة : ٧١] .

وقال تعالى:﴿ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

[التوبة:١١٢] .

وقال تعالى:﴿ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [الحج:٤١] .

وقال تعالى:﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان:١٧].

مقدار المعروف...

اعلم يا بني أن المعروف الذي أريدك أن تكون من أهله وفاعليه ليس بالأمر المكلف، ولا المرهق، وليس فوق طاقة البشر، بل يتحقق وجوده بأقل الفعال الصالحة، التي قد يحتقرها ـ لقلتها ـ عامة الناس ويستصغرونها، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ** ". [١] فما كلفة التبسم في وجوه الناس؟.

ما كلفة البشاشة وإدخال السرور على الآخرين؟

ما كلفة الكلمة الطيبة، ولين الكلام، وإدخال الطمأنينة على قلوب الآخرين؟

إن المعروف يا بني ليس ـ فقط ـ بإنفاق المال، ولا بعظيم الفعال.

---

(١) رواه مسلم .

فيمن تصنع المعروف؟

اعلم يا بني أن من يفعل المعروف ابتغاء وجه الله تعالى لا يعنيه أين يضع معروفه؟ لأنه لا يبتغي من الناس الجزاء، بل من الله وحده.

فإن فَعَل المعروف وصادف أهله، فبها ونعمت، وإن لم يصادف أهله فهو أهل للمعروف والإحسان.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ : لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ ، فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا ، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ ، فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ". [١]

أما نكران الفضل والمعروف فهو خلق اللئام، الذين لا يقرون بفضل غيرهم، ولا جميل صنيعه إليهم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ ". [٢]

وفي ذلك يقول المتنبي:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته ∴ وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

---

(١) رواه البخاري واللفظ له ومسلم وأحمد والنسائي .

(٢) رواه أحمد والبيهقي وابن حبان .

إن نكران المعروف والتقليل من شأنه ممن فُعل فيه، يجعل بعضًا من أهل المعروف يزهد فيه ويتركه، بل ويندم عليه، عندما يجد مقابل فعاله الصالحة النكران والجحود والجهل عليه، والاستخفاف به.

قال زهير بن أبي سلمى :

ومن يصنع المعروف في غير أهله ∴ يكن حمده ذمًا عليه ويندم

وقال الشاعر:

وزهَّدني في كلِّ خيرٍ منعته ∴ إلى النَّاس ماجرَّبت من قلَّة الشُّكر

وهناك قصة تبين خطورة أن يفعل الإنسان الخير في غير أهله، وهي أن قومًا خرجوا إلى الصيد، و بينما هم في عرض الصحراء إذ خرجت عليهم ضبع، فطاردوها فهربت منهم حتى دخلت إلى خباء أعرابي. فخرج إليهم الأعرابي وقال:ما شأنكم؟ فقالوا: صيدنا وطريدتنا، فقال: كلا والذي نفسي بيده لا تصلون اليها ما ثبت سيفي بيدي، وكان من أخلاق العرب أنهم إذا استجار بهم أحد لا يخذلونه. فرجع الصيادون وتركوه. فقام الأعرابي الى شاة عنده فحلبها وقربه إلى الضبع، وقرب إليها إناءماء فأقبلت تشرب مرة من هذا ومرة من ذاك حتى ارتوت واستراحت، وعادت لها الحياة و نامت.

فبينما الأعرابي نائم في جوف الليل إذ وثبت عليه، فبقرت بطنه، وشربت دمه وأكلت لحمه ثم تركته.

فجاء ابن عم له يزوره في الصباح وإذا به مجندل، وقد بُقر بطنه، وأُكِل قلبه، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها.

فقال: هي والله التي أجارها بالأمس، فأخذ قوسه وكنانته وتبعها فلم يزل يبحث عنها حتى أدركها فقتلها. ثم بكى على ابن عمه عند جثتها وأنشأ يقول:

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ معْ غيرِ أَهْلِه ∴ يُـلاَقَ الَّذي لاَقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ
أدامَ لها حِيـنَ استَجَـارَتْ بِقُرْبه ∴ لهـا مَحْضَ ألبَانِ اللقَـاحِ الدَّرَائِرِ
وَأَسْمَنَهَا حَتَّى إذَا مَـا تَكَـامَلَـتْ ∴ فَـرَتْهُ بأَنْيَـابٍ لَهَـا وَأظَافِرِ
فَقُلْ لِذوِي المَعْـرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ ∴ بَدَا يَصْنعُ المَعرُوفَ فِي غَيْرِ شَاكِرِ

وهناك قصة أخرى في ذات المعنى. حكى بعضهم فقال: دخلت البادية فإذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب. فقالت: أتدري ما هذا ؟ ، فقلت: لا.

قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيرًا، وأدخلناه بيتنا وربيناه، فلما كبر فعل بشاتي ما ترى، وأنشدَت:

بقَرت شويهتي وفجعت قلبي ∴ وأنـت لشاتنـا ابـن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معهـا ∴ فمن أنبـاك أن ابـاك ذيـب
إذا كان الطباع طبـاع سوء ∴ فلا أدب يفـيد ولا أديب



من فوائد المعروف...

١ ـ قرب فاعله من الله تعالى.

٢ـ الذكر الطيب في الدنيا والآخرة.

٣ـ صفة من صفات المؤمنين الصادقين.

٤ـ المعروف يقي صاحبه الميتة السوء.

٥ـ المعروف يقي صاحبه من الهلكات والآفات.

٦ـ المعروف يجعل صاحبه من الأخيار.

٧ـ المعروف يجعل صاحبه من المفلحين.

٨ـ المعروف يجعل صاحبه من الصالحين.

٩ـ المعروف يجعل صاحبه محبوبًا مألوفًا عند الناس.

١٠ـ المعروف من عزائم الأمور التي لا يقوى عليها إلا شديد الإيمان.

١١ـ المعروف سبب لرحمة الله تعالى بفاعله.

١٢ـ المعروف سبب من أسباب التمكين في الأرض.



٢٦ـ كن أمينا ولا تكن خائنًا



اعلم يا بني ويا بنيتي أن الأمانة ضد الخيانة. وهي خلق الأنبياء والصالحين، وهي أعظم وأشد ما تَحَمَّله الإنسان، بل هي أعظم وأشد ما تحمله مخلوق على الإطلاق، وأناب الإنسان في تحملها عن أعظم وأشد ما خلق الله تعالى، قال الله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

وقد نهى النبي أن يحلف بها أحد عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا ". [١]

وهي أحد وصفين اشتهر بهما النبي ـ ﷺ ـ قبل البعثة، والصدق الصفة الثانية.فقد كانت" قريش تسمي رسول الله ـ ﷺ ـ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين. ولما دخل رسول ـ الله ﷺ ـ من باب شيبة وقت أن كانت قريش تختصم على مَن مِن القبائل يرفع الحجر الأسود إلى موضعه قالوا لما رأوه: هذا الأمين رضينا هذا محمد، أي رضينا بحكمه، لأنهم كانوا قد اتفقوا أن يقضي بينهم أول من يدخل من هذا الباب ، فكان هو الرسول ـ ﷺ ـ". [٢]

---

(١)رواه أبو داود والبيهقي .

(٢) محمد بن عبد الملك بن هشام/ سيرة النبي ـ ﷺ ـ طنطا دار الصحابة للتراث ط الأولى ١٩٩٥م١/ ٢٥٤ .

الأمانة أساس الإيمان والدين...

اعلم يا بني أن كل من خلت أقواله وأفعاله من الأمانة، فإن في ذلك دليل على خواء قلبه، من الإيمان وحسن الاعتقاد. ولا نبالغ إذا قلنا: إنَّ في ذلك دليل على خواء قلبه من مشاعر الإنسانية على وجه العموم. فَعَنْ أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"**.[١]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **"لا تَنْظُرُوا إِلَى صَلاةِ أَحَدٍ، وَلا إِلَى صِيَامِهِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى مَنْ إِذَا حَدَّثَ صَدَقَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ أَدَّى، وَإِذَا أَشْفَى وَرِعَ"**.[٢]

وقال أيضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **"لا يَغُرَّنَّكَ صَلاةُ رَجُلٍ وَلا صِيَامُهُ، مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى، وَلَكِنْ لا دِينَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ"**.[٣]

[illegible] خلت القلوب من الإيمان، وعم ذلك بين الناس مع تقادم الزمان، كان ذلك إيذانًا بهلاك العالم، وقيام الساعة.

[illegible] عندها تفسد الحياة بصورة غير مسبوقة، ويُرفع الحق والخير، ويُذهَب بالصالحين، صمام الأمان في كل مراحل الحياة وتاريخ البشرية، ويبقى أراذل الخلق وشرار الناس، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ"**.[٤]

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه من حديث أنس وأحمد وابن حبان.

ولذلك كان ذهاب الأمانة من الدنيا، علامة من علامات قرب قيام الساعة، وإيذانًا بذهابها، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ** ". (١)

وَعَنْ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا ".(٢)

و " قِيلَ لِلُقْمَانَ مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى ، فَقَالَ لُقْمَانُ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَتَرْكُ مَا لَا يَعْنِينِي ".(٣)

من فوائد الأمانة...

١ـ الأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢ـ يقوم عليها أمر السماوات والأرض.

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه مالك في الموطأ.

٣ـ هي محور الدين وامتحان رب العالمين.

٤ـ بالأمانة يحفظ الدين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم، والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة

٥ـ الأمين يحبه الله ويحبه الناس.

٦ـ من أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها عباده المؤمنين بقوله تعالى:" وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ". [1]

٧ـ مجتمع تفشو فيه الأمانة مجتمع خير وبركة". [2]



(١) المؤمنون٨ والمعارج٣٢.

(٢) نضرة النعيم٣/ ٥٢٤.

صور الأمانة...

اعلم يا بني أن للأمانة عدة صور منها...

١ـ رد الحقوق إلى أصحابها...

وفيها قال الله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] ، فمتى كان عندك وديعة لأحد وجب عليك ردها عند طلبها، والأمانة وإن كانت تصدق على كثير غير أن المقصود بها في هذه الآية هي الحقوق المادية، لأنها هي التي تُؤدَى إلى الغير.

ويصح أن تشمل" جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده، من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور. وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد". (١)

قال ابن عباس:" الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفرائض، يقول: لا تنقضوها . قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها، وإن شاء أداها، لا يطلع عليه أحد إلا الله". (٢)

ولا تحملك خيانة أحد لك على خيانته، فتعامله بالمثل، فالمسلم يلتزم دائماً منهج الخير والفضيلة مع كل الناس، وإن لم يلتزموا ذلك المنهج معه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ

(١) الامام الحافظ عماد الين أبوالفداء إسماعيل بن كثير / تفسير القرآن العظيم / المنصورة مصر مكتبة الإيمان ١/ ٥١٥.
(٢) الكبائر ص١٦٩.

خَانَكَ ". [١]

فعدم أداء الأمانات إلى أصحابها من الذنوب العظام التي لا يكفي فيها الاستغفار قال ابن مسعود: "إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة، يُؤتى بالرجل يوم القيامة، وإن كان قد قتل في سبيل الله فيقال: أدّ أمانتك. فيقول: فأنَّى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟ فتُمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوى إليها فيحملها على عاتقه، قال: فتنزل عن عاتقه فيهوى على أثرها أبد الآبدين". [٢]

٢ـ فيما وكلت إليه من مهام...

اعلم يا بني أن كل ما كنت قيِّمًا عليه كان أمانة في عنقك تُسأل عنها يوم القيامة، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ". [٣]

وهذا يا بني يجعلنا ندقق فيمن يتولى أمورنا، من رئيس أو وزير أو طبيب أو مدرس أو مدير، أو أي إنسان في موقع مسئولية، وأن يتولى أمورنا الأصلح، ولو كان مستصغرًا في أعين العامة، لأن في ذلك مراعاة لحفظ الأمانة وعدم ضياعها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) رواه الترمذي والبيهقي من حديث أبي هريرة أبو داود .
(٢)تفسير القرآن العظيم ١/ ٥١٥.
(٣) متفق عليه.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ ". (١)

٣ـ في حفظ الأسرار...

اعلم يا بني أن من الأمانات حفظ الأسرار التي تطلع عليها دون غيرك، أو يُطلعك عليها أصحابها، فمن الخيانة أن تفشي سرًا، أو تكشف سترًا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".(٢)

فالرجل كل الرجل الذي يكتم على صاحبة، أو يكتم على صاحبته ما يحدث بينهما من إفضاء، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا ".(٣)

فالإسلام يرفض انتشار الفضائح والأخبار السيئة، المسيئة للآخرين، في مجتمعه، وكل من أشاع ذلك، وعمل علي تزكيته قد توعده الله تعالى بعذاب أليم، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[النور: ١٩] .

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

الصحابة يحفظون سر النبي - ﷺ -:

وليس هذا يا بني بمستغرب من رجال تربوا على آداب النبوة، والقدوة الحسنة، فَعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي ،فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ فَقَالَ : قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا ". (١)

وعَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : " كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ لَهَا خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) رواه البخاري .

وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ، قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ ، قَالَتْ : فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنْ الْحَقِّ ، لَمَّا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي ، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ ، قَالَتْ : فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ ، أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَالَتْ : فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ ". [١]

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : " أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ قَالَ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ مَا حَبَسَكَ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ قَالَتْ مَا حَاجَتُهُ قُلْتُ إِنَّهَا سِرٌّ ، قَالَتْ : لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا قَالَ أَنَسٌ وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ ". [٢]

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٢) رواه مسلم.

وقال الشاعر في كتم السر:

ومستودعي سرًا تضمنت سِرَّه ∴ فأودعته من مستقره الحشى قبرًا

ولكنني أخفيه عني كأنني ∴ من الدهر يومًا ما أحطت به خبرًا

وما السر في قلبي كميْت بحفرة ∴ لأني أري المدفون ينتظر النشرا

وقال آخر:

ويكتم الأسرار حتى إنه ∴ ليصونها عن أن تمر بباله

من فوائد كتمان السر...

١- به يتمكن الإنسان من قضاء مصالحه، ولا يُواجَه بما يعوقه عنها.

٢- كتمان السر لون من ألوان الأمانة، والأمانة من علامات الإيمان.

٣- كتمان السر لون من الوقار والاحتشام، ودليل على الرزانة والوقار.

٤- هو فضيلة إنسانية بها يرتقي المرء في درجات الكمال.

٥- يوثق صلة الإنسان بأخيه حين يحفظ أسراره.

٦- حين يثق الإنسان بأن صاحبه يحفظ أسراره يمهد ذلك له استشارته فيما لا يحب أن يطلع عليه الناس.

٧- يؤدي حفظ السر إلى توثيق عرى المحبة بين الإنسان ومن يحفظ عليه سره". [1]

(١) نضرة النعيم ٨/ ٣٢١٣.

عن الخيانة ...

اعلم يا بني أن الخيانة صفة من صفات الكافرين والمنافقين، ما ذكرها الله تعالى في كتابه إلا في معرض ذكرهما، والتحذير منهما ومن مكرهما وخيانتهما، قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الأنفال : ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنفال:٧١] ، ثم ذكر تعالى أن الخائنين على ضلالة فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف:٥٢].

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ". (١)

وقد استعاذ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الاتصاف بها ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : " وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ ". (٢)

ولما كانت تلك صفة الكافرين والمنافقين استحالت في حق المؤمن الصادق الإيمان عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ " . (٣)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجة والنسائي .

(٣)رواه البيهقي .

" يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ ".[١]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ ، وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا ، وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا ".[٢]

من مضار الخيانة...

١ـ تُسخط الله عز وجل على العبد.

٢ـ داء وبيل إذا استشرى بالإنسان جرده من إنسانيته، وجعله وحشًا يهيم وراء ملذاته.

٣ـ من علامات النفاق.

٤ـ طريق موصل إلى العار في الدنيا، والنار في الآخرة.

٥ـ أسوأ ما يُبطن الإنسان.

٦ـ خيانة المجاهد في أهله أعظم جُرمًا من خيانة غير المجاهد.

٧ـ انتشار الخيانة في المجتمع من علامات اضمحلاله، وهو علامة من علامات الساعة.

٨ ـ انتشار الغُلُول والرشوة والمطل والغش لأنها كلها من الخيانة".[٣]



(١) رواه أحمد

(٢)رواه أحمد

(٣) نضرة النعيم ١٠/ ٤٥٦٧.

٢٧ـ كن مترفعًا عن الصغائر والنقائص...



إياك يا بني و يا بنيتي أن تفهم أن الترفع نوع من أنواع الكبر، أو مظهر من مظار التعالي على الناس، ربما قابلت في حياتك من يُفهمك ذلك من شرار الناس.

إنهم يريدون منك أن تخوض مثلهم فيما يخوضون فيه، بما يُذهب مروءتك ومكانتك عند الناس.

فالترفع ليس من الكبر في شيء، لأنه صون للنفس مما يدنسها، وَلِلْعِرْضِ أن يخاض فيه.

وهو صفوة مكارم الأخلاق، وقمة حسنها وبهائها.

وهو دليل على قوة النفس، التي تخلصت من شرورها ومعايبها، وتزينت بكل مُحَسِّن، وتخلصت من كل مشين.

وهو دليل على تزكية النفس وتقواها، وأنها نفس سوية قال الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس ٧ـ١٠].

إنَّ هذه النفس بعد ترفعها، وتجاوزها لشهواتها، لهي نفس مُحَرَّرَة من كل قيد يمنعها عن سموها، وعن تلقيها لأنوار الحق والهُدَى، لتعيد بثَّه مرة ثانية في أرجاء الكون، كمصباح مضيئ.

إنَّ النفس الإنسانية يا بني أعدَّها خالقها لهذا الترفع والترقي، وهي

مهيأة لتلقي ما فيه صلاحها خاصة، وصلاح الكون على وجه العموم، وهذا بناء على وجود" قوة واعية مدرِكة موجِهة في ذات الإنسان، هي التي تناط بها التبعة.

فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها، وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب". [١]

فالنفس وإن كانت ممدوحة بما تترفع عنه، فهي مرهونة مأخوذة بما خاضت فيه واكتسبته قال الله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾.

المدثر:٣٨].

إنَّ النفس المترفعة عن الصغائر دُرِّبَتْ ـ أو اعتادت ـ على الملاحظة عن بعد لكل ما ينال منها، فتراها تجتنبه قبل أن تصل إليه أو يصل إليها.

عَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ** ". [٢]

يقول البخاري: ما اغتبت مسلمًا منذ احتلمت.

ويقول الشافعي: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يضر أهله.

ويقول أيضًا وهو يحاسب نفسه: ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا.

ويقول ابن القيم: سألت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن مسألة أو عن شيء،فقال: هو ليس بحرام ولا مكروه، ولكن مثلي لا يفعله.

---

(١) في ظلال القرآن٦/ ٣٩١٧، ٣٩١٨.

(٢)رواه الترمذي .

وقال الشاعر:

سأترك حبها من غير بغض ∴ ولكن لكثرة المشاركين فيه
إذا وقع الذباب على طعام ∴ رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتأبى الأسود ورود ماءٍ ∴ إذا كان الكلاب يلغن فيه

من فوائد الترفع عن الصغائر...

١ـ فيه صون لعرض الإنسان.

٢ـ يُعفي الإنسان من مواطن الشبهات.

٣ـ يحفظ الكرامة ، ويُكسب احترام الناس.

٤ـ يُزيد من قوة الإرادة والشخصية.

٥ـ يُبعد الإنسان عن مواطن النقد والذم.

٦ـ دليل على كمال إيمان العبد.



٢٨ـ كن عادلًا ولا تكن ظالمًا...

اعلم يا بني ويا بنيتي أن العادل" في اصطلاح الفقهاء: من اجتنب الكبائر، ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة، كالأكل في الطريق ، والبول.

وقيل: العدل مصدربمعنى العدالة وهو: الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق". [١]

والعدل هو أساس الملك، وعليه قامت السماوات والأرض، وهو أحد أسماء الله الحسنى.

واعلم يا بني أن الرجل عندي ليس من يأخذ من الناس لنفسه، فالحيوانات الجارحة تفعل ذلك، بل من يأخذ للناس من نفسه، وينتصر للناس منها.

وبغياب العدل في أي مجتمع، ينتشر الظلم، ويسود قانون الغاب، وتتشكل فئة باغية، فئة لها من القوة والبطش ما يجعلها تهمش كل فئات المجتمع الأخرى، وتنهب خيراته، كما حدث في بلدنا مصر، وفي بلدان عربية أخرى.

ولغياب العدل تنزوي الفئة الصالحة، وما يتوقع منها الإصلاح والتقدم، وما ينفع المجتمع، لتسيطر الفئة الفاسدة التي لا تعرف إلا مصالحها الشخصية.

---

(١)التعريفات ص١٤٧.

إنَّ الله تعالى أمر بالعدل، لأن فيه صلاح الدنيا وعمارتها، أمر بالعدل في الرضا والغضب، في الفرح والحزن، في المحبة والكراهية، في المودة والعداوة، في كل كبيرة وصغيرة، بداية من العدل في القبلات بين الأبناء، إلى العدل بين الأزواج، والعدل بين الأفراد والجماعات، وبين الدول في حال الحكم بينها.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء:٥٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ [النحل:٩٠] .

وقال تعالى: ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام:١٥٢] .

العدل بمعنى الظلم...

إذا كان العدل يا بني هو: أن تساوي بين الأشياء، وألا ترفع شيئًا على آخر دون وجه حق، فإن من أعظم الظلم أن يساوي العبد بين الله تعالى، وبين أحد من خلقه، فعَنْ عَمْرِو بْن شُرَحْبيل عَنْ عَبْد الله قَالَ : سَأَلْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْب أَعْظَمُ عنْدَ الله؟ ، قَالَ : " **أَنْ تَجْعَلَ لله ندًّا وَهُوَ خَلَقَكَ** ... ". [١]

فهذا إشراك بالله تعالى وكفر به قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ

(١) رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن حبان.

يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام : ١] .

وقال تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[الأنعام : ١٥٠] .

وقال تعالى:﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] .

فضل العدل...

اعلم يا بني أن الله تعالى قد جعل من يأمر بالعدل، ويعمل به، على هدى وعلى صراط مستقيم، لا يساويه أحد في الأجر ولا في الفضل، إلا من عمل مثله أو زاد عليه، قال الله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل:٧٦] .

وعَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ : " إنَّ الْمُقْسطينَ عنْدَ اللَّه عَلَى مَنَابرَ منْ نُور عَنْ يَمين الرَّحْمَن عَزَّ وَجَلَّ وَكلْتَا يَدَيْه يَمينٌ الَّذينَ يَعْدلُونَ في حُكْمهمْ وَأَهْليهمْ وَمَا وَلُوا " . (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ : "كُلُّ سُلَامَى منْ النَّاس عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْم تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدلُ بَيْنَ النَّاس صَدَقَةٌ ". (٢)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه مسلم والنسائي.
(٢) رواه البخاري واللفظ له ومسلم .

قَالَ: " إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ".[١]

ومن أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، كما أخبر النبي - ﷺ - " إِمَامٌ عَادِلٌ ".[٢]

من صور العدل ...

١- العدل بين الرعية ...

وهو من أعظم صور العدل، على الإطلاق، لعموم الصلاح والنفع والخير، إذ به ينتشر الخير في ربوع المجتمع، ويخضع الناس طواعية لسلطة الحق والقانون.

والعدل في الإمامة أمر شاق، يستحيل على معظم الحكام، وذوي السلطة، ممن افتتنوا بها، وغرتهم الحياة الدنيا.

ولهذه الصعوبة كان الإمام العادل يوم القيامة في مكان رفيع تحت ظل عرش الرحمن مع ستة أصناف من صفوة الخلق .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَوْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ،وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ، مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ".[٣]

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة.
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .

خطورة الإمارة...

اعلم يا بني أنَّ أكثر ما أخاف عليك أن تكون يومًا أميرًا على أحد، فالرئيس أو الوزير، أو القاضي، أو أي إنسان في منصب يتولى فيه شئون الناس، حسابه شديد، وكلما كبر منصبة وكثرت رعيته، كان الحساب أشد. والعثرات في الامارة غير مأمونة.

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَيْلٌ للأُمَرَاءِ، وَيْلٌ للْعُرَفَاءِ، وَيْلٌ للأُمَنَاءِ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا، يَتَذَبْذَبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا عَلَى شَيْءٍ".[(١)]

وَعَنْ عِمْرَانَ بْن حطَّانَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا، فَذَكَرُوا الْقَضَاءَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: سَمعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إنَّهُ يُؤْتَى بِالْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ في تَمْرَةٍ قَطُّ".[(٢)]

والناس كلهم يتجاوزن العقبات بأنفسهم، والأمراء يتجاوزونها بغيرهم، بعدلهم فيهم، وحسن القيام على أمورهم، أما إن غش وخان، فلا تجاوز ولا نجاة، فعَنْ مَعْقِل رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ".[(٣)]

وإياك إياك يا بني أن تسألها، إن رأيت في نفسك قدرة على تحملها، وأنك

---

(١) رواه أحمد و البيهقي وابن حبان والحاكم في مستدركه.

(٢) رواه البيهقي

(٣) متفق عليه من حديث معقل بن يسار.

تعمل فيها بما يُرضي الله تعالى، دعها تأتيك، ولا تأتي إليها، أو تسعى لها سعيها، كن مطلوبًا لا طالبًا، حتى يعينك الله تعالى عليها .

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : " يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا ، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ ، وَأْتِ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ ". (١)

أما إذا رأيت في نفسك أنها لا تستطيع تحمل أعبائها، والقيام بحقها، وخشيت عليها من بريقها، فلا تقربها ولو ضُربت عليها، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ،لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ ". (٢)

٢ـ العدل بين الأولاد ...

قد يظن بعض الآباء أنه لا حرج عليهم إن هم عدلوا بين أبنائهم، أو فضلوا بعضهم على البعض الآخر، فيظنون أنهم أحرار في إعطاء البعض وحرمان الآخر، وهذا خطأ، فَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ : تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَاله فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ قَالَ لَا قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ " ، - وفي رواية - : " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بَشِيرُ

---

(١) متفق عليه .

(٢)رواه مسلم.

ألك ولدٌ سوى هذا ؟، قال: نعمْ فقال : أكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لهُ مِثْلَ هَذا ؟، قال : لا ، قال، فَلا تُشْهِدْني إذًا فإنِّي لا أشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ".

وفي رواية " لَا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ"، وفي رواية "فَأَشْهِدْ عَلَى هَذا غَيْرِي" ثم قال:" أيَسُرُّكَ أنْ يَكُونُوا إلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟، قال: بَلَى، قال : فَلا إذًا".[1]

٣ـ العدل بين الزوجات...

وهذا في حق من يتزوج أكثر من امرأة، وإن كان العدل التام بينهن ممكنًا في الأمور المادية، فهو غير ممكن في أمور أخرى، وخارج عن تحكم النفس البشرية، ولذلك قال الله تعالى:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء : ١٢٩] .

و"من هذه الميول، أن يميل القلب البشري إلى إحدى الزوجات، ويؤثرها على الأخريات، فيكون ميله إليها أكثر من الأخريات. وهذا ميل لا حيلة له فيه، ولا يملك محوه أو قتله.. فماذا ؟ إن الإسلام لا يحاسبه على أمر لا يملكه، ولا يجعل هذا إثمًا يعاقبه عليه، فيدعه موزعًا بين ميل لا يملكه، وأمر لا يطيقه! بل إنه يصارح الناس بأنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء ـ ولو حرصوا ـ لأن الأمر خارج عن إرادتهم. ولكن هنالك ما هو داخل في إرادتهم.

هناك العدل في المعاملة. العدل في القسمة. العدل في النفقة. العدل في الحقوق الزوجية كلها، حتى الابتسامة في الوجه، والكلمة الطيبة باللسان، وهذا ما هم مطالبون به".[2]

---

(١) متفق عليه .

(٢) في ظلال القرآن٢/ ٧٧٠.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ : " **اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ** "(١). قَالَ أَبُو دَاوُد : يَعْنِي الْقَلْبَ .

وعدم العدل فيما يملك الإنسان يؤاخذ عليه ويحاسب به، لأنها حقوق يجب أن تؤدي بأقصى الطاقة والدقة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى أَحَدِهِمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ** " .(٢)

ولمخافة الإثم كان الصالحون كما قال مجاهد:" كانوا يستحبون أن يسوّوا بين الضرائر حتى في الطيب، يتطيب لهذه كما يتطيب لهذه.

وعن جابر بن زيد قال: كانت لي امرأتان، فلقد كنت اعدل بينهما حتى أعد القُبَل ".(٣)

٤ـ العدل في الميزان والمكيال...

فقد أمر الله تعالى بإقامة العدل فيما يوزن أو يكال فقال تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾. [الرحمن: ٩] . لما في ذلك من إفساد وأكل لأموال الناس بالباطل. وقد توعد الله تعالى من يظلم في الميزان والمكيال بسوء المصير.

قال الله تعالى:﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ ﴾[المطففين : ١ – ٥] .

---

(١) رواه أحمد وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة .
(٢) رواه أحمد وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة.
(٣) الدر المنثور ٢/ ٧١٣.

٥ـ العدل بين الناس...

وتلك صورة يا بني عامة تشمل كل ما مضى من الصور وتُدخل غيرها، لتشمل كل صور التعامل بين الناس، ليكون العدل هو المنهج والصراط الذي لا تتجاوزه، في تعاملاتك، وأقوالك وشهادتك. والعدل هو الحق في أعظم تجلياته. هو المنع في محله، والإعطاء في محله، وتقديم ما من شأنه التقديم، وتأخير ما من شأنه التأخير، هو قول الحق ولو أغضب، بل ولو كرهنا.

من فوائد العدل...

١ـ الأمن لصاحبه في الدنيا والآخرة.

٢ـ دوام الملك وعدم زواله.

٣ـ رضا الرب قبل رضا الخلق عن العادل.

٤ـ سلامة الخلق من شره.

٥ـ أصحابه أهل للولاية والحكم والتقدم والرفعة.

٦ـ الصدع بالحق وعدم ممالاة الباطل.

٧ـ يسد مسد كثير من أعمال البر والطاعة.

٨ ـ عموم العدل في الإسلام، حتى إنه ليشمل الأبعدين، فضلًا عن الأقربين والكافرين مع المسلمين. ويشمل التسوية حتى مع أعضاء الإنسان نفسه.

٩ـ طريق موصل للجنة". [١]

(١) نضرة النعيم ٧/ ٢٨١٨.

خطورة الظلم...

اعلم يا بني أن عاقبة الظلم وخيمة، وأنه مسلك سيئ، وأنه طريق الضلالة، وأنه مجلبة للآثام والأوزار، وأنه من أسباب الحسرة والندامة.

وأن الله تعالى حرم الظلم على نفسه، لنسير على نهجه تعالى، فنجتنبه ونحذره، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : **" يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا ".** (١)

وأن كراهية الله تعالى للظالمين محققة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[آل عمران:٥٧، ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠]، وأنهم لا يلحقهم من الله تعالى أي هداية ولا فلاح ولا نصرة، فالله تعالى: ﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة:٢٥٨ - آل عمران:٨٦- المائدة:٥١- الأنعام:١٤٤-التوبة:١٩-التوبة:١٠٩-الأحقاف:١٠-الصف:٧ - الجمعة:٥] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأنعام:٢١ - الأنعام:١٣٥- يوسف:٢٣ -القصص:٣٧] ،وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[البقرة:٢٧٠- آل عمران:١٩٢-المائدة:٧٢].

وإذا لم تلحق العبد هداية ربه أو نصرته، وصار من الخاسرين حل به الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[الكهف : ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج ٧١] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[الفرقان : ٣٧] ،

---

(١) صحيح مسلم - كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ - بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ.

وقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨].

والظلم يا بني له تبعات كثيرة، تفوق ما اقترفه الإنسان من ظلم،عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".** [١]

ولهذا يا بني فإنَّ كل من كانت عليه مظلمة لأحد فعليه أن يتخلص منها وهو في الحياة الدنيا، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **" مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ ".** [٢]

و لا تغرنك صولة الظالم، وعلو شأنه، فإن له ساعة لن تُبقي له صولة ولا شأنًا، وتجعل الذين فتنوا بما له من سطوة، وبما عنده من متع الدنيا، وفتنوا ـ أيضًا بحلم الله عليه، ومده له، يحمدون الله تعالى أنهم ليسوا على شاكلته، ولا يتمنون ـ بعد أن كانوا يتمنون ـ أن يكونوا مكانه، وقارون هو أصدق مثال لكل ظالم متكبر، مغتر بعطاء الله وحلمه، ولكن عندما نضب العطاء، وارتفع حلم الله تعالى عنه، كانت العاقبة كما قال الله تعالى في كتابه. ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.[القصص :٨١ - ٨٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود١٠٢] .[1]

ولا تغرنك مسكنة المظلوم، وضعفه، وقلة حيلته، وقلة ناصريه، وهوانه على ظالمه. ولا تحسبنَّ... أنْ لا ناصر له ولا معين، فيغريك ذلك أن تكون مع الظالم ضده، أو تزهد في نصرته.

لأن للمظلوم ربًا يحكم بين عباده بالعدل، يحلم ويصبر، حتى إذا ارتفعا حل مكانهما العقاب والهلاك ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود١٠٢] . فتنقلب فرحة الظالم حزنًا، وينقلب حزن المظلوم فرحًا، وليعلم المظلوم أن الله ما أمهل الظالم استهانة به، ولا ضعفًا عن نصرته، ولكنها سنة الله تعالى في تدبير ملكه، أنه لا يعاجل أحدًا بالعقوبة، لأنه سبحانه لو فعل ذلك ما بقي أحدٌ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾[فاطر٤٥] .

وعند هذا الأجل يتمنى الظالم أنه لم يداين أحدًا بمظلمة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين٢٩ ـ ٣٦] .

---

(١) متفق عليه.

واعلم يا بني أن من واجبك ـ وواجب المجتمع أيضًا أن تعمل على أن يكف الظالم عن ظلمه، وإن لم تستطع فلا أقل من إظهار خطورة الظلم عليه، وسوء عاقبته، وإظهار الامتعاض منه، عسى أن يكف عن ظلمه، أو يقلل منه، فتكون بذلك قد نجيته شر نفسه .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ ، قَالَ تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"** .(١)

حكم الظلم...

اعلم يا بني أنه" لما كان الظلم والعدوان منافيين للعدل، الذي به قامت السماوات والأرض، وأرسل الله سبحانه رسله عليهم الصلاة والسلام، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط كان ـ أي الظلم ـ من أكبر الكبائر عند الله ، وكانت درجته في العظمة بحسب مفسدته في نفسه". (٢)

من صور الظلم...

١ـ ظلم الإنسان لربه . . .

اعلم يا بني أن ظلم الإنسان لربه هو أن يجعل له شريكًا في الألوهية والملك، وأن يجعل له ندًا، وهذا أعظم الظلم قال الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان١٣].

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ [الأعراف٣٧].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الداء والدواء ص٢٢١ .

٢ـ ظلم الإنسان لنفسه...

اعلم يا بني أن الإنسان كثير الظلم لنفسه، يعمل ـ دون أن يشعر ـ على إهلاكها، وعدم نجاتها من غضب الله تعالى ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأنعام٢٦]، فعندما يبتعد الإنسان ـ باستكبار وعناد ـ عن منهج الله المستنير، وصراطه المستقيم، فيكفر ويشرك، أو يعصي ويقصر، فإنه بذلك يظلم نفسه، ويضر بها ـ دون غيرها ـ ويوردها حيث تكره من الذل والهوان، قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ ﴾[النساء١١١]،وقال تعالى:﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأعراف١٦٠] .

وقال تعالى:﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[الأعراف١٧٧]، وقال تعالى:﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [التوبة٧٠] .

٣ـ ظلم الإنسان لغيره...

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ"، قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ،وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ،وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ،وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ". [١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ.

---

(١)رواه مسلم.

لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوق إِلَى أَهْلِهَا يَوْم الْقِيَامَة ، حَتَّى يُقَاد لِلشَّاةِ الْجَلْحَاء ، مِنْ الشَّاة الْقَرْنَاء ". [١]

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَهُوَ يُخَاصِمُ فِي أَرْضٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". [٢]

أسباب الظلم...

اعلم يا بني أن أعظم أسباب الظلم هو حب الدنيا، والافتتان بها، والاستزادة منها، والسعي في امتلاكها.

وكل ذلك يُنمي في الإنسان صفة الطمع، الذي به يمد الإنسان يده وعينه، وكل جوارحه، فيما لا يملك ولا يجوز.

إنه السبب الذي من أجله يسرق الإنسان، ويكذب، و يُزَوِّر، ويقتل، وينافق، ويخون ، ويغش في بيعه وشرائه وموازينه...إلخ

وإذا امتلك الإنسان من الدنيا عرضها طغى وظلم، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق : ٦،٧] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه.

من مضار الظلم...

١ـ يجعل الظالم في سخط الله تعالى.

٢ـ الظالم لا يحبه الله تعالى، ولا يحبه الناس.

٣ـ الخسران والندم هما النتيجة الطبيعية للظلم.

٤ـ الظلم يعرض الإنسان لعقاب الله تعالى.

٥ـ الظلم يتضاعف يوم القيامة.

٦ـ الظلم يُذهب بالأعمال الصالحة يوم القيامة.



٢٩ـ كن عبدًا توابًا



اعلم يا بني ويا بنيتي أنه لا أضر بالعبد، ولا أخوف عليه إلا من معصية ربه، وارتكاب الذنوب.

وهو بهذا يعرض نفسه لغضب الله تعالى وعقابه.

فعصيان الله تعالى حرب، وارتكاب الذنب مبارزته تعالى، والعبد خاسر لا محالة، ومُهلك نفسه دون ريب.

بالذنب تُعكر الحياة، ويُكَدَّر العيش، ويُقتَّر الرزق، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه : ١٢٤] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦] .

وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" **إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ** " . [١]

ولهذه المساوئ يجب على المذنب سرعة الرجوع بعد المعصية، وعدم التمادي فيها، أوتأجيل التوبة لساعة الموت، ومفارقة الحياة.

فمُسَوِّف التوبة يخشى عليه من خلتين:

" **إحداهما:** خوف المعالجة بالموت أن يكون أجل الله عز وجل، في روحه، قبل الأجل الذي أجّله لتوبته، فيموت بحسرته لم يبلغ أمله، ولم يتب من

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم في مستدركه وابن حبان .

ذنبه، فلا إلى الله عز وجل تاب، ولا بلغ من لذته ما أراد، فمات بغصة الدنيا والآخرة.

والخلة الثانية: خوف أن يضرب الله عز وجل قلبه بعقوبة مانعة له من التوبة، من القسوة والرين، أو الطبع أو المرض أو الإقفال، ويكون أجله مع ذلك مؤخرًا. فيطول عمره بالسكرة والحيرة، فإنما يُملى له ليزداد إثما"[١].

إن العبد يا بني يجب أن يكون يقظًا مراقبًا لأفعاله، وأقواله، ينظر فيها جميعًا ويحسب عواقبها، فإن رأى أن العاقبة سيئة، توقف عنها، وإلا أحاطت السيئات بالقلب وعملت على إفساده، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤]. [٢]

و" أصل فساد القلب، ترك المحاسبة للنفس، والاغترار بطول الأمل، فإذا أردت صلاح قلبك فقف مع الإرادة وعند الخاطر، فخذ ما كان لله، ودع ما كان لغيره".[٣]

وإياك يا بني أن يغريك عظيم كرمه، واتساع عفوه، وجميل صفحه، فتستهين بمعصيته، فقد روي" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لا يغرنكم قول الله عز وجل:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ

(١) الرعاية لحقوق الله ص١٣١ .
(٢) رواه أحمد والحاكم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والبيهقي .
(٣) رسالة المسترشدين ، ص ١١٠ .

بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام :١٦٠] ،فإن السيئة وإن كانت واحدة، فإنها تتبعها عشر خصال مذمومة

أولها: إذا أذنب العبد ذنبًا فقد أسخط الله وهو قادر عليه.

والثانية: أنه فرح إبليس لعنه الله.

والثالثة: أنه تباعد من الجنة.

والرابعة: تقرب من النار.

والخامسة: أنه قد آذى أحب الأشياء إليه وهي نفسه.

والسادسة: أنه قد نجس نفسه، ووقد كان طاهرًا.

والسابعة: أنه قد آذى الحفظة.

والثامنة: أنه أحزن النبي ـ ﷺ ـ في قبره.

والتاسعة: أنه أشهد على نفسه السماوات والأرض وجميع المخلوقات بالعصيان.

والعاشرة: أنه خان جميع الآدميين وعصى رب العالمين". (١)

واعلم يا بني أن من أعظم نعم الله تعالى على عباده ـ ليس فقط صبره على ذنوبهم بل ـ أن أذن لهم في التوبة، وأعلمهم بقبولها منهم قال تعالى:" ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [التوبة١٠٤] .

وقال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الشورى٢٥] ، و لولا هذا الإذن والقبول لهلك الناس، وكل ما على الأرض قاطبة قال تعالى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم

(١)بحر الدموع ص٤٢، ٤٣.

مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل : ٦١] ، وقال تعالى:﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ ﴾[الكهف:٥٨] ، وقال تعالى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[فاطر: ٤٥] .

شروط التوبة...

اعلم يا بني أن التوبة صارت" كلمة شائعة على الألسنة، حتى لكأن شيوعها ابتذلها وأطفأ سناها الكريم، ومع أن دلالة الكلمة تجعلها أخطر من أن يجازف بها.

هل يلغو إنسان فيقول: بنيت قصرًا، أو يلغو فيقول: ألفت كتابًا!!

إنَّ بناء قصر شاهق أهون من بناء نفس خربة، وإن تأليف كتاب ثمين أرخص من تأليف نفس فرّق الهوى أقطارها.

والتوبة هي هذا البناء والتأليف، فمن الهزل العجاب أن تدور على الألسنة دون تيقظ وإدراك". (١)

وقد" درج كثير من الناس على النطق في مقام التوبة والاستغفار بكلمات: تبت واستغفرت، ويظنون أنهم بهذا القدر قد تحققت منهم التوبة التي وعد الله عباده قبولها، ولكن الواقع أن التوبة كسائر الطاعات ليست حقيقتها الكلمات تقال، ولا الصور ترسم، وإنما حقيقتها ندم يملك على الإنسان قلبه، على ما فرط في جنب الله، وهذا هو التائب". (٢)

ولخطورة هذه الكلمة وضع العلماء شروطًا للتوبة، يجب أن تتوفر فيها

---

(١) الجانب العاطفي من الإسلام ص١٥٧.
(٢) من توجيهات الإسلام ص٢٢.

حتى يقبلها الله تعالى، فالله لا يقبل الأشياء إلا بشروطها.

وإنّ "شروط التوبة عند أهل السنة والجماعة ثلاثة:

* الندم على ما فات.

* والترك في الحال.

* والعزم على ألا يعود إلى مثل ذلك في المستقبل". [1]

فأما "الندم فإنه لا تتحقق التوبة إلا به، إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به، وإصراره عليه:

وأما الإقلاع عن الذنب فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب.

والشرط الثالث: هو العزم على عدم العودة، ويعتمد أساسا على إخلاص هذا العزم والصدق فيه". [2]

ولذلك قال النبي - ﷺ -: " **النَّدَمُ تَوْبَة** ". [3]

وقال آخرون: " شروط التوبة ثمانية:

الثلاثة المذكورة...

والرابع: أداء مظالم العباد وحقوقهم.

والخامس: قضاء ما فُوِّت من واجبات الله تعالى.

والسادس: إذابة كل لحم وشحم نبت من الحرام، بالرياضة والمجاهدة.

والسابع: إصلاح المأكول والمشروب والملبوس بجعلها من جهة حلال.

---

(١) حدائق الحقائق ص٣٠ .

(٢) البحر الرائق ص١٥٨.

(٣) رواه أحمد ابن ماجة والبيهقي وابن حبان والحاكم .

والثامن: تطهير القلب من الغل والغش والكبر والحسد والحقد، وطول الأمل، ونسيان الأجل، وما أشبه ذلك". [١]

وقال آخرون:" لا تصح التوبة إلا بأربعة أشياء: حَلّ إصرار القلب عن المعاودة، والاستغفار بالندم، ورد التبعات والمظالم، وحفظ الجوارح من الحواس السبع: السمع ،والبصر، واللسان، والشم، واليدان، والرجلان، والقلب، وهو أميرها، وبه صلاح الجسد وفساده".[٢]

و"مر المسيح ابن مريم عليه السلام بقوم من بني إسرائيل يبكون.

فقال لهم:ما يبكيكم ؟.

قالوا:نبكي ذنوبنا.

قال:اتركوها تغفر لكم.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: عجبًا لمن يهلك ومعه النجاة!

قيل له: وما هي؟

قال:التوبة والاستغفار". [٣]

---

(١)حدائق الحقائق ص٣١.
(٢)رسالة المسترشدين ص١١٣.
(٣)العقد لفريد ١٢١.

التوبة النصوح...

اعلم يا بني أن التوبة المقبولة - إن شاء الله - هي التوبة النصوح وهي:" التوبة البالغة في النصح.

وقيل: هي أن يتوب ثم لا يعود إلى ما تاب عنه أبدًا.

وقال يحيى بن معاذ: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين زلة قبل التوبة.

وقال ذو النون رحمة الله عليه: الاستغفار من الذنب من غير الإقلاع عنه توبة الكذابين". [1]

هي إذًا " توثيق العزم على أن لا يعود لمثله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على أن لا يعود". [2]

وتَمَّ إقلاع يا بني عن الذنب، ولكن لم يكن الله تعالى - أو الخوف منه - هو زاجره ومانعه، بل سبب آخر.

كالذي يريد أن يزني ولا يتمكن منه لضعف، أو كبر، أو لم يجد من يزني بها، أو يخاف على نفسه من مرضٍ معدٍ كالإيدز.

وكل من يكف عن الذنب ليس خوفًا من الله تعالى، بل خوفًا على صحته أن يصيبه مرض، أو خوفًا على سمعته، ومركزه ، ووجاهته عند الناس، ليس بتائب بل حريص على عافية نفسه.

---

(١) حدائق الحقائق ص٣١، ٣٢.

(٢) التعريفات ص٧٠.

أو من لم يتمكن من السرقة، لأمر منعه من تنفيذ مخططه، أو لم يجد شيئًا يسرقه.

أو من كان يخوض في أعراض الناس ويغتابهم، ويمشي بينهم بالنميمة، ثم كف عنهم لمرضٍ أو شللٍ في لسانه.

فكل من يكف عن الذنب لمرض أو لضعف أو لعدم تمكن، ليس تائبًا، بل ليس متمكنًا، أو خاليًا من الحول والقوة.

فضل التوبة...

اعلم يا بني أن التوبة النصوح الصادقة تجعل العبد طاهرًا من كل رجس، خالصًا من كل وزر، كما قال نبينا ـ ﷺ ـ: "التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ". (١)

وإذا علمت أن كل إنسان لا يخلو من ارتكاب الذنب، فإن خير الناس من يرجع إلى ربه، يستغفره ويسترضيه، ويعتذر إليه من غفلته وتقصيره قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال رسول الله ﷺ: " كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ ". (٢)

اعلم يا بني أنَّ " للتوبة أسرار، ولأصحابها أخبار، فالتائب يزول عنه تصيد المعايب، وطلب المثالب، لأنه ذاق مرارة ما تقدم، فهو دائما يتندم.

وهو يفتح باب المعاذير لمن وقع في المحاذير، ولا يفعل فعل المعجب المنان، الذي قال: والله لا يغفر الله لفلان، بل يستغفر لمن أساء من العباد،

---

(١) رواه البيهقي.
(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

ويطلب الهداية لأهل الفساد.

والتائب يطالع حكمة الرب في تقدير الذنب، وأنه لا حول للعبد ولا قوة في منع نفسه من الوقوع في تلك الهوة".[١]

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **لَا حَلِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ ، وَلَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ** ".[٢]

إنَّ" أجمل الكلمات، وأحسن العبادات، لدى رب الأرض والسماوات قول العبد: يا رب أذنبت. يا رب أسأت. يا رب أخطأت.

فيكون الجواب منه سبحانه: عبدي قد غفرت لك، وسامحت، وسترت، وصفحت".[٣]

واعلم يا بني أن الطائعين محتاجين ـ كذلك ـ إلى التوبة، وليس العصاة فقط. فإن من يلتزم العبادة لا يسلم ـ لا محالة ـ من التقصير، وربما الخلل أحيانًا.

وإن أتى بها بلا تقصير أو خلل، فإنه لا يدري هل قامت عبادته بحق الله تعالى عليه أم لا ؟

ولهذا وجبت التوبة في حقه، وإلا صار ممن امتن بطاعته، واغتر بها.

واعلم يا بني أن الكل بلا استثناء عاجز عن القيام بحق الله تعالى، ومكافأته على عظيم فضله وإحسانه.

وكل من لا يرى ذلك فقد وضع نفسه في مواطن الطمأنينة والأمان،

---

(١) مقامات عائض القرني ص٢٠٥،٢٠٦ .
(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه.
(٣) مقامات عائض القرني ص٢٠٧.

وهي مواطن لا تليق بأي مخلوق.

وأخيرا...

أقول لك يا بني ما قاله ابن الجوزي في مواعظه :" تناه عن قبيح فعلك قبل انبثاث جهلك، وانظر لنفسك في أمرك قبل حلولك في قبرك .

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل .

ووعظ أعرابي ابنه، فقال: لا الدهر يعظك، ولا الأيّام تنذرك، والساعات تعد عليك، والأنفاس تعد منك، أحب أمريك إليك أردهما بالمضرة عليك.

ووُجد على حجر مكتوب: ابن آدم، لو رأيت ما بقى من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة في عملك، ولقصَّرت من جهلك وحيلك، وإنما يلقاك ندمك إذا زلت قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وباعدك الولد القريب، ورفضك الولد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة ، قبل الحسرة والندامة".

من فوائد التوبة...

١ـ التوبة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢ـ سبب حب الله تعالى ورضاه، لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

٣ـ سعة رحمة الله تعالى للتائب.

٤ـ ضعف الإنسان لكون الخطيئة جزءًا منه.

٥ـ عموم وشمول مغفرة الله ورحمته لكل ذنب تاب العبد منه وإن كان

شركًا.

٦ـ حرمة المسلم "عرضه وماله " فلا تقبل التوبة من حقوق العباد إلا بأن يأخذ حقه أو يعفو.

٧ـ تجلي الله على التائب ورضوانه وإحسانه.

٨ ـ يُقبل الله على التائب أضعاف إقبال عبده عليه بطاعته.

٩ـ تُسبب التوبة ذهاب الضيق وإزالة الهم.

١٠ـ الرجاء في العفو والتوبة ما دامت الروح في الجسد إلى طلوع الشمس من مغربها وقبل الغرغرة.

١١ـ وجوب التوبة على العموم وعلى الخصوص والمبادرة بها.

١٢ـ المعاصي سواد، والتوبة جلاؤها". (١)



(١)نضرة النعيم ٤/ ١٢٩٥.

٣٠ـ كن حَسَن الظن بالله وبالناس...



اعلم يا بني ويا بنيتي أنك ستجد الله تعالى كما تعتقد فيه وتظن به، إن ظننت به خيرًا وجدته، وإن ظننت به غير ذلك فلن تجد غيره، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ ". (١)

وعلى هذا يا بُني يكون الظن بالله على نوعين، منه ما هو حسن، ومنه ما هو سيئ .وحُسن الظن بالله تعالى، دليل على كمال إيمان العبد بالله تعالى، ومعرفته به حق المعرفة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ ".(٢)

وهو بشارة السعادة في الدنيا والآخرة، لا تتحقق السعادة إلا به، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ قَالَ لَا يَمُوتُ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ". (٣)

وحُسن الظن يا بني لا يعني أن تترك العمل، وتقول: أنا أحسن الظن بربي. فمن ترك العمل وظن أن الله تعالى سينزله منازل الصالحين، ومن سبقت لهم الحسنى فقد أساء الظن بربه ، لأن الله لا يسوي بين من يعمل ومن لا يعمل، بين من غرته الأماني، ومن سهر الليالي.

(١) رواه الحاكم وابن حبان والدارمي .
(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه.
(٣) رواه أبوداود.

إنَّ حُسْنَ الظن بالله يا بني أن تعمل وتجاهد وأنت ترجو من الله تعالى القبول والمغفرة، وأن يمن عليك ويتفضل، فرحمة الله تعالى لمن يتقرب منها، ويتعرض لها بالعمل الصالح الحَسَن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

عَنْ أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَخْرُجُ رَجُلاَنِ مِنَ النَّار، فَيُعْرَضَانِ عَلَى الله ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بهما إلى النَّار ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمَا فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا كَانَ هَذَا رَجَائِي ، قَالَ : وَمَا كَانَ رَجَاؤُكَ؟ قَالَ: كَانَ رَجَائِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا ، أَنْ لا تُعِيدَنِي ، فَيَرْحَمُهُ اللهُ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ". [١]

إن حسن الظن بالله يا بني أن تعمل وتجاهد وأنت تخاف أن لا يقبل منك عدل ولا عمل، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون ٦٠] .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ قَوْلُ الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الَّذي يَزْني، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ ، قَالَ: "لاَ، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لاَ يُتَقَبَّلَ مِنْهُ ". [٢]

وإنَّ من حسن الظن بالله يا بني أن تعلم أنه الملك المستغني بذاته عن فعل عباده، وله مطلق الإرادة في أن يقبل من هذا العبد، ولا يقبل من الآخر، وأن يقدم ويؤخر من يشاء من خلقه، وليس لأحد حق الاعتراض أو الرفض.

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم والبيهقي.

سُوء الظن بالله تعالى...

اعلم يا بني أن سوء الظن بالله تعالى من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب على الإطلاق.

وهو دليل على تمام جهل المخلوق بخالقه، وهو جهل يستدعي كل ذنب، ويجعل العبد في حالة جفاء وعداء مع الله تعالى.

ولذلك يجب على كل عبد أن ينظر في ظنه بربه، وما يعتقد فيه، وفي أي مكانة يُنزل العبدُ ربَه من قلبه ومعتقده؟ ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الصافات : ٨٧] .

لأن كل من يعتقد في الله تعالى ما ينتقص من كماله وجلاله، وما يستلزمهما من علم محيط لا حد له، وقدرة نافذة لا مانع لها، يخسر خسرانًا مبينًا، قال الله تعالى:﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت : ٢٣] .

و" هذا نص صريح في أن من ظن بالله تعالى أنه يَخرج شيء من المعلومات عن علمه، فإنه يكون من الهالكين الخاسرين". [١]

حُسن الظن بالناس...

اعلم يا بني أنك ستنال حب الناس، ومودتهم، عندما يعلمون عنك، ويلمسون منك حُسن الظن بهم. أما إذا علموا أنك تسيء الظن بهم، كرهوك واجتنبوك. وصرت في جانب وهم في جانب، وكنت منهم في حذر، وكانوا منك في حذر. يرقب كل جانب الآخر. يتخوف كل جانب من الآخر. فأي مجتمع هذا ؟

(١)مفاتيح الغيب١٣/ ٦٢٥ .

لقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يظنوا ببعضهم خيرًا، لأن ذلك هو اللائق بجماعة واحدة. تعبد ربًا واحدًا، وتدين بدين واحد، أنزل الجميع بمنزلة النفس الواحدة، والجسد الواحد، فمن يسيء لأحد فكأنما أساء إلى نفسه، قال الله تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور : ١٢] .

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ".(١)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ ".(٢)

كما أمر الله تعالى المؤمنين من اجتاب الظن السيء ـ وصفة السوء هي الغالبة على الظن ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ... ".(٣)

ولا يُفهم من ذلك أنه من الواجب عليك أن تُحسن الظن في كل إنسان، في الخيِّر والشرير، في المُحسن والمسيئ، في كل الناس، وعلى كل حال.

لأن بعض الظن السيء يكون من الحزم والفطنة، ورجاحة العقل.

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح البخاري - كِتَاب الصَّلَاةِ - أَبْوَابُ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ .

(٣) متفق عليه.

فمثلًا: من يتبع الناس في كل أقوالهم وأفعالهم، ويفترض في الجميع حسن النية، ويصدق أخبارهم، بلا تفكير أو نقد لها، قد يؤدي به ذلك أن يكون حيث يكره.

ولذلك قالوا: سوء الظن من الحزم، وقالوا أيضًا: سوء الظن عصمة.

من فوائد حسن الظن...

١ـ طريق موصل إلى الجنة.

٢ـ دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣ـ يولد الألفة والمحبة بين المسلمين.

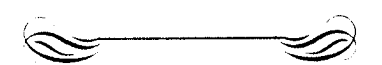
٤ـ يهيئ المجتمع الصالح المتماسك ويحقق التعاون بين أفراده.

٥ـ برهان على سلامة القلب وطهارة النفس.

٦ـ علامة على حسن الخاتمة.

٧ـ لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله، ومدى مغفرته ورحمته.

٨ـ يحافظ على أعراض المسلمين". [1]



(١) نضرق النعيم ٥/ ١٦٠٨.



نصائح متفرقة

١ـ لا تضعف عن المواجهة...

يجب عليك يا بني أن تواجه كل ما يقابلك من مشاكل في حياتك، بكل شجاعة وصبر وعدم ضيق، ولكي يحدث ذلك عليك أن تتوقعها، وأن تعد نفسك لمواجهتها، فالحياة لا تخلو من مشاكل، والصفو لا يخلو من كَدَر.

ولا تضعف ولا تئن، فالحياة لمن لا يضعف ولا يئن، إنَّ الحياة الكريمة ليست للجبناء ـ الجبن هو: "هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي ومالا ينبغي" ـ [١]

وليس عيبًا أن تشرك غيرك في حل مشاكلك، ولكن العيب كل العيب أن تتَّكل على الآخرين في حلها. دون أن تبذل الجهد، وتستفرغ الطاقة، وتستنفر القدرات.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ".** [٢]

---

(١) التعريفات ص٧٣.

(٢) رواه مسلم.

من مضار الضعف...

١ـ يورث الذل والهوان على الله وعلى الناس.

٢ـ دليل على ضعف الإيمان وقلة اليقين.

٣ـ طريق يُؤدي إلى تفكك المجتمعات وتفريق الجماعات.

٤ـ مظهر من مظاهر سوء الخُلُق". [١]

٢ـ لا تكن إمَّعة...

لا تكن إمعة يا بني ـ والإمَّع: الذي يقول لكل أحد: أنا معك ولا يثبت على رأي لضعفه". [٢]

قال عثمان بن عفان لعبيد الله بن عدي بن خيار:" إذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم". [٣]

يجب عليك أن تقول قولك، وترى رأيك، وأن تكون لك شخصيتك المستقلة غير التابعة لأحد.

وهذا لا ينافي الأخذ بمشورة الآخرين، واستطلاع آرائهم، لما في ذلك من الحزم والحيطة وقد أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بأن يُشرك المؤمنين في الأمر، مع استغنائه عن كل ذلك، ولكن لتصير سنة ومنهجًا بين المؤمنين .

عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ :﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آلِ عمرَان : ١٥٩] ، قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آله وَسَلَّمَ : " **إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَنِيَّانِ عَنْهَا ، وَلَكِنْ جَعَلَهَا رَحْمَةً لأُمَّتِي ، فَمَنْ شَاوَرَ**

(١)نضرة النعيم١٠/ ٤٧٩٤.

(٢)المعجم الوجيزص٢٥ـ إن أحسن الناس أحسنتَ، وإن أساؤوا أسأت.

(٣) رواه البخاري والبيهقي.

مِنْهُمْ لَمْ يُعْدَمْ رُشْدًا ، وَمَنْ تَرَكَ الْمَشُورَةَ لَمْ يُعْدَمْ غَبْنًا " . (١)

٣ـ القدرة على التغير . . .

لا تستسلم يا بني لطباعك، بما جُبلْتَ عليه من صفات غير حسنة، وسلوك غير حميد، عليك يا بني أن تجعلَ نفسك تحت طوعك، حتى تقدر أن تغير فيها ما يستحق أن لا يبقى، لا تقل: أنا هكذا، وقد خلقني الله تعالى على هذه الهيئة، وجبلني على تلك الطباع. فهذا قول العَجَزة.

والذي لا يقدر على تغيير نفسه إلى الأحسن، غير قادر ولا مؤهل لتغيير ما في المجتمع من سلبيات، تحتاج لمن يغيرها أو يُقَوِّمها.

يجب أن تكون دائم النظر في سلوكك وأحوالك، فما وجدته غير صالح، ومفسد، بدلته.

إنَّ كثيرًا من مشاكلنا يمكن أن تُحل، بيسر وسرعة، إذا ما غيرنا طريقة تفكيرنا، أو طريقة تناولها.

لكي تكون الأحسن يجب أن تكون دائم التغيير في شخصيتك، وأن تتخلى وبسرعة عن كل الصفات التي يمكن أن تكون عقبة في حياتك.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

وقال قتادة: إنما يجيئ التغيير من الناس، والتيسير من الله". (٢)

فإن كان بك سوءًا فعليك أن تغير من نفسك، وتبحث عن جوانب

---

(١) رواه البيهقي.
(٢) الدر المنثور ٤/ ٦١٧ .

التقصير والضعف وتعالج كل ما يبدو لك منهما.

وإلا دام الحال لدوام الأسباب.

٤ـ الثقافة والتخصص...

سأطرح عليك سؤلًا يا بني، لو خُيِّرتَ بين عشرة كتب يتحدث كل كتاب منها عن موضوع مختلف، وبين عشرة كتب أخرى تتحدث عن موضوع واحد، فأي العشرة تختار؟.

قد تجيب قائلا: اختار العشرة الأولى التي تتحدث عن موضوعات مختلفة، لما في ذلك من تنوع للثقافة ، وأخذ فكرة ـ لاحظ: فكرة. مجرد فكرة ـ عن أشياء متعددة.

لكن العشرة الثانية، التي تتناول موضوعًا واحدًا، تجعلك أكثر فهمًا وإحاطة بهذا الموضوع، إنَّ تناول بابًا من العلم والتعمق فيه تجعلك راسخًا فيه، خبيرًا به، أكثر إفادة فيه من غيرك.

وهذا ما يحتاجه المجتمع، فأي مجتمع يحتاج المتخصص المتمكن، المتعمق، على قدر جهده، فيما يتخصص فيه.

إنني أريدك أن تقرأ ـ لو أمكنك ـ ألف كتاب عن موضوع واحد، لتكون خبيرًا به، تنبئ عنه برسوخ في العلم، وعمق في الفهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

٥ـ حق الوقت وترتيب الأولويات...

اعلم يا بني أن من أهم أسباب النجاح والتقدم أن تعرف ما يجب عليك فعله الآن، وما يجب عليك تأخيره لوقت آخر.

فترتيب أولوياتك ضرورة،حتى لاتفعل مالا حاجة لك لفعله، أو تغفعل عما يجب عليك فعله، فتكون النتيجة كأنك لم تفعل شيئًا من الأساس.

يجب عليك أن تجيد التقديم و التأخير، الأخذ والترك، القبول والرفض، حسب ما تراه يخدم أهدافك ومصالحك.

وكم من أفراد وجماعات بل وأمم اندثرت، وتوارت في عالم النسيان، بسبب إساءتها ترتيب أولوياتها، وجهلها لحق الوقت، وما يجب ومالا يجب فعله الآن.

٦ـ السعادة في القرب من الله تعالى . . .

اعلم يا بني أن رؤية الناس للسعادة تختلف من إنسان لآخر، فمنهم من يراها في جمع المال والثروة.

ومنهم من يراها في كثرة الأولاد.

ومنهم يراها في منصب يتولاه .

ومنهم من يراها في القرب من إنسان محبب إليه.

ومنهم من يراها في عافية بدنه.

ومنهم من يراها في كل ما استحوذ من عَرَض الدنيا.

وحزنه يكون بطبيعة الحال على كل ما فاته من عَرَضها.

ولكن الله تعالى لا يحب ذلك من عباده، وينهاهم عنه، قال الله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد٢٣] .

لأنها يا بني سعادة زائفة زائلة، لا تقل في زيفها وزوالها عن زيف الدنيا

وزوالها. إنَّ السعادة الحقيقية يا بني هي في القرب من الله تعالى، والعمل على طاعته، وأن تحرص على رضاه، أن تكون مع الله تعالى على صراط مستقيم، تَسْعد وتُسَر بطاعتك، وتحزن وتبكي على معصيتك، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس ٥٨].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ ، فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ". (١)

٧- جرب قبل أن تحكم...

اعلم يا بني أن كثيرًا من أحكام الناس على الأشياء تسبق دراستها، ومعايشتها، والتدقيق فيها.

كثير من الناس عندهم أحكام مسبقة على أناس لم يعاملوهم عن قرب، بما يؤهلهم لإصدار حكم صحيح عليهم.

كثير من الناس يرفضون أشياء لمجرد وجود انطباع سيء عنها، وهي انطباعات لا تقوم على أساس صحيح.

ليكتشف بعد سنين، أو بعد فوات الأوان أنه كان مخطئًا.

لا تفعل ذلك يا بني، بل عليك أن تجرب بنفسك الأشياء قبل أن تصدر عليها حكمك، حكمك أنت لا حكم الآخرين عليها.

لا يجب أن يكون حكمك على الأشياء والأشخاص نابعًا عن هوى شخصي، فآفة الرأي الهوى، وما أكثر ما يضل الهوى صاحبه ويرديه.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي ..

٨- لا ترفع عينيك عن ذنوبك، ومواطن تقصيرك...

فالمؤمن الصادق الإيمان يا بني لا يرفع عينيه عن ذنبه، ولا ينظر إلى ما قَدَّم، ويقدم من أعمال صالحة، ولكنه ينظر دائمًا إلى مواطن تقصيره، لا إلى أفعاله الحسنة.

هو دائم الخوف من نفسه، ولا يزكيها أبدًا.

وإن مدحه الناس على بعض أعماله الصالحة، إلتفت هو إلى ما يقصر فيه من عمل.

لا تقل أنا أفضل من غيري.

أنت إذًا تمدح نفسك، وتلتمس لها العذر فيما ترتكبه من ذنوب، وما تقصر فيه من واجبات.

المؤمن الحق هو من يعلم أنه لا يستطيع أن يقوم بحق الله تعالى، مهما عَبَد واجتهد، ومهما أحسن وأجاد، هو من يعلم دائمًا أنه لا يوجد مخلوق يقوم بحق الله تعالى. ولهذا تراه دائمًا منكسرًا لله تعالى، ابتغاء العفو والمغفرة، إما لذنب ارتكبه، أو لتقصير حدث.

٩- لا تتعلق بما مُنعت، أو ما أُخذ منك...

اعلم يا بني أن المحبين لله تعالى، المخلصين، الصادقين، الشاكرين لأنعمه، المتأدبين مع الله تعالى، لا تَعْدُ عيناهم عما امتن الله تعالى به عليهم من عطاء، فيحمدونه عليه، بقلوب يملؤها الرضا، حتى ولو تأخر عنهم عطاءه.

إنهم مشغولون فقط بما تفضل به عليهم، فإبراهيم عليه السلام يرزقه الله

تعالى بباكورة أولاده، وهو شيخ كبير، وتلك مرحلة عمرية يكون الإنسان في عوز من يشد عضده من ذريته، التي لو رزق بها في مقتبل عمره لصاروا في هذه السن رجالًا أقوياء.

فما عسى الأب العجوز أن يفعل بذرية صغيرة ضعيفة، تحتاج لمن يرعاها ويتكفل بها. فماذا فعل إبراهيم عليه السلام ؟، هل عاتب ربه على تأخر عطائه ؟ ،هل قال لربه: متى يكبر هذا الطفل ؟، متى أسعد به ؟ ، متى أراه رجلًا ؟، متى أراه زوجًا ؟ ، متى أرى ذريته ؟ لا .. لم يقل ذلك، بل قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٩] .

إنه لم يلتفت إلى تأخر العطاء، ولكنه التفت فقط إلى أن الله تعالى أعطاه. وهذا يستوجب منه شكره ورضاه.

١٠ـ لا تستسلم للظروف...

اعلم يا بني أن هناك من استسلم للظروف فقهرته، ونالت من أحلامه وطموحاته. لا تجعل الظروف تنال منك. حاول أن تتغلب عليها. ستجد حلولًا كثيرة. إن نجحت مرة في التغلب على العقبات، ستعطيك الثقة في التغلب على غيرها.

لا تجلس تنتظر الفرصة لكي تعمل أو تحقق نجاحًا. لأن الفرصة لا ينتفع بها إلا من كان مهيئًا لها. وكم من أشخاص مرت عليهم فرص النجاح والتقدم، ولم يفعلوا بها شيئًا ، لأنهم غير مؤهلين لها.

هيئ نفسك للفرصة، استعد لها، قال لويس باستير [١] - الكميائي الفرنسي الذي أسس علم الأحياء المجهري، واخترع عملية البسترة يومًا - : إن الصدفة تأتي فقط للعقل المهيأ لها". [٢]

---

(١) ولد في فرنسا في ٢٧ديسمبر١٨٢٢م ، وتوفي في٢٨سبتمبر١٨٩٥م وعمره٧٢عامًا،عالم أحياء دقيقة وكميائي فرنسي معروف بتجاربه التي أثبتت أن الكائنات الدقيقة هي المسؤلة عن الأمراض، وعن اللقاحات، وبصفة خاصة اللقاح ضد داء الكلب ، أول من أوجد عملية البسترة في الحليب، و هي تسخين الحليب، لقتل الجراثيم والميكروبات الموجودة فيه، ثم بعد ذلك يقوم بتبريده وحفظه باردًا ، ويلاحظ أن كلمة مبستر المأخوذة من اسمه تكتب على علب الحليب.

(٢) مايكل ميكالكو / كيف تصبح مفكراً مبدعًا ، ترجمة علا أحمد إصلاح القاهرة الهيئة العامة للكتاب ٢٠١١م ص ٣٠٥

خاتمة



عليك يا بني ويابنيتي أن تتذكران دائمًا ما يأتي...

١ـ لو طفت مشارق الأرض ومغاربها ما وجدت شيئًا سهلًا.

٢ـ لابد من الألم لتُحقق أهدافك.

٣ـ إذا حددت أهدافك بدقة وعناية فلا تُعطي الفرصة لنفسك وللآخرين بإثناء عزيمتك.

٤ـ اعرف ما يريده أعداؤك منك، وجاهد على ألا يدركوه منك.

٥ـ اعلم أن لكل ناجح عدو.

٦ـ كن أنت من يُوجه نفسك، ولا تترك للآخرين فرصة توجيهها.

٧ـ يجب عليك أن تأنس بآراء من تثق في قدراتهم ومحبتهم لك.

٨ ـ لا تُدخل نفسك في معارك مع الآخرين، فإن ذلك يُشغلك عن تحقيق أهدافك.

٩ـ لا تصدق كل ما تسمع، ولا تأخذ بكل رأي يطرح عليك.

١٠ـ لا تطع الناس في كل ما يطلبونه منك.

١١ـ لا تفكر بطريقة واحدة، وعليك الأخذ بجميع الاحتمالات.

١٢ـ ليس كل من ينقدك حاقدًا أو حاسدًا أو عدوًا، بل عليك أن تفكر فيه، فإن كانوا على صواب عملت به، وإلا فلا تلتفت إليه.

١٣ـ إياك والاحباط، كن رجلًا عنيدًا.

١٤ـ احرص على أن يكون تحقيق أحلامك بيدك لا بيد غيرك.

١٥ـ لن يعطيك الناس ما يجعلك أفضل منهم.

١٦ـ لكي تفكر بصورة جيدة، لا بد أن تقرأ بصورة جيدة.

١٧ـ لا تتكلم كثيرًا.. اعمل كثيرًا.

١٨ـ إذا أردت أن لا يتكلم الناس عليك فكن حجرًا.

١٩ـ احرص على ما ينفعك.

٢٠ ـ لا تخسر نفسك، واعمل دائمًا على الوفاء بوعدك.

٢١ ـ قال المهاتما غاندي : كن التغيير الذي تريد أن تراه في العالم.

٢٢ـ لا تمازح أحدًا، ولا تجادله.

٢٣ـ احرص على وجود خط يفصل بينك وبين الآخرين.

٢٤ـ توقع السيء من الناس، ولا تحزن من صدوره منهم.



المراجع



١ـ القرآن الكريم .

٢ـ موسوعة الأخلاق الإسلامية ، سعد يوسف محمود أبو عزيز.

٣ـ الفوائد ، ابن القيم.

٤ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب .

٥ـ مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم .

٦ـ جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي.

٧ـ أدب الدنيا والدين أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي

٨ ـ إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي.

٩ـ حدائق الحقائق ، مد بن أبي بكر بن عبد القادر شمس الدين الرازي.

١٠ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني.

١١ـ مفتاح دار السعادة ، ابن القيم الجوزية.

١٢ـ البحر الرائق في الزهد والرقائق ، أحمد فريد.

١٣ـ الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، د فاطمة محجوب.

١٤ـ الإيمان والحياة ، د يوسف القرضاوي.

١٥ـ موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ، إعداد مجموعة من العلماء.

١٦ـ الصمت وحفظ اللسان ، ابن أبي الدنيا.

١٧ـ صفة الصفوة ، ابن الجوزي.

١٨ـ رسالة المسترشدين ، المحاسبي.

١٩ـ بحر الدموع ، ابن الجوزي.

٢١ـ الفتح الرباني والفيض الرحماني ، عبد القاهر الجيلاني.

٢٢ ـ منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب.

٢٣ـ الجانب العاطفي من الإسلام ، محمد الغزالي .

٢٤ـ مقامات عائض القرني ، د عائض القرني.

٢٥ـ من توجيهات الإسلام ، الإمام الأكبر / محمود شلتوت.

٢٦ ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف ، الإمام القشيري.

٢٧ـ البداية والنهاية ، ابن كثير.

٢٨ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الحافظ ابن حجر العسقلاني

٢٩ـ العقد الفريد ، إبن عبد ربه الأندلسي .

٣٠ـ الرعاية لحقوق الله ، المحاسبي.

٣١ـ غذاء الألباب ، الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي.

٣٢ ـ مواعظ ابن الجوزي ، ابن الجوزي .

٣٣ـ تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي .

٣٤ـ الصلاة ، ابن القيم.

٣٥ـ المعجم الوجيز .

٣٦ـ القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي .

٣٧ـ تربيتنا الروحية ، سعيد حوى.

٣٨ـ التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني .

٣٩ـ الداء والدواء ، ابن القيم الجوزي.

٤٠ـ الاعتصام ، الإمام أبو اسحاق الشاطبي

٤١ـ لسان العرب ، ابن منظور.

٤٢ ـ مختار الصحاح ، زين الدين الرازي .

٤٣ـ تفسير البيضاوي ، القاضي ناصر الدين البيضاوي.

٤٤ـ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، الزرقاني.

٤٥ـ السيرة النبوية ، ابن هشام .

٤٦ـ تفسير القرآن العظيم ، الامام الحافظ ابن كثير .

٤٧ـ الدر المنثور في التفسير المأثور ، الامام السيوطي.

٤٨ـ الترغيب والترهيب ، الحافظ عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري .

٤٩ـ الكبائر ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .

٥٠ـ كيف تصبح مفكرأ مبدعًا ، مايكل ميكالكو.

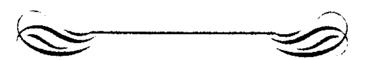
٥١ـ مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي.

٥٢ـ ركائز الإيمان ، محمد قطب .

٥٣ـ المعجم الوسيط .



الفهرس



تم بحمد الله

